ISSN: 1994-4217 (Print) 2518-5586(online)

Journal of College of Education

Available online at: https://eduj.uowasit.edu.iq

Lecturer: Neshtiman Ali Saleh

College of Education Akre/ University of Duhok

Email: nshtemansalh98@gmail.com

Keywords: Transition, aliphate, Hijaz, Umayyads, Levant

Article info

Article history:

Received 25 Sept .2021

Accepted: 3.Feb.2022

Published 28.Feb.2022

The Impact Caliphate Transfer on Hijaz

A B S T R A C T

The importance of Hijaz is due in the first place, before the advent of Islam, to its religious center. Several places were found in Hijaz that were sacred and sanctified in the eyes of the Arabs. These places were visited by pilgrims during the seasons and they were shared by the tribes of the Arabian Peninsula. In this research, we will talk about the Umayyads and the Levant, and how the caliphate was transferred, and the mandate of the covenant and the document of powers from it, and the Umayyad policy in Hijaz in the Sufyan period, the Umayyad administration in Hijaz, and the economic and social effects of the transition of the caliphate.

© 2022 EDUJ, College of Education for Human Science, Wasit University

DOI: https://doi.org/10.31185/eduj.Vol3.Iss46.2450

أثر أنتقال الخلافة على الحجاز

م. نشتيمان علي صالح

جامعة دهوك / كلية التربية/ عقره

الملخص

ترجع أهمية الحجاز في المقام الأول قبل ظهور الإسلام إلى مركزه الديني، فقد وجدت مواضع عدة في الحجاز كانت ذات حرمة وقدسية في أنظار العرب يقصدها الحجيج في مواسم تشترك فيها القبائل من سكان الجزيرة العربية. وسنتحدث في هذا البحث عن الامويون والشام ، وكيفية انتقال الخلافة ، وولاية العهد وموثق القوى منها ، والسياسة الأموية في الحجاز في الفترة السفيانية ، والادارة الأموية في الحجاز ،والأثار الاقتصادية والاجتماعية لانتقال الخلافة .

الكلمات المفتاحية: انتقال، الخلافة، الحجاز، الأمويين ، الشام ، الخلافة

اولا: الأمويون والشام

عرف الأمويون الشام وارتبطوا معها بعلاقات خاصة منذ العصر الجاهلي ، بدءا بأمية بن عبد شمس ، الذي أضطر إلى مغادرة مكة إلى الشام، إثر منافسته المخفقة لعمه هاشم على النفوذ والجاه (البلاذري،١٩٨٧،ص١١٦؛**سرور**، ١٩٦٦،٥٨ ؛ **كحالة**،١٩٨٢،١/٤٣) .

واستندت العلاقات القديمة بين الأمويين في مكة والشام ، وأهله وحكامه كذلك، إلى صلات معرفية قديمة قبل الإسلام وجاءت هذه العلاقات مرتكزة على أسس تجارية ، بحكم استقرار قريش في مكة، واضطرارها بدافع العوز كون مكة أرضا غير ذى زرع على الأعتماد على مصدر أخر يؤمن لقريش سبل الحياة والأستمرار فكانت التجارة مصدرهم الفعال ، وهكذا أتجهت قريش صوب الشام ، وقد كان جل بني عبد شمس (الأمويين) قبل الإسلام يعملون بالتجارة ، وبشؤون المال ، وتركوا لبني عمومتهم بني عبد المطلب ما كانوا يتطلعون إليه من جاه روحي على العرب بقيامهم بشؤون الكعبة والحجاج ، وما يتعلق بهما من سقاية ورفادة وعلى الرغم من أن قريشا كلها كانت مضطرة للسعي والعمل في التجارة ، غير أن أمر تنظيمها وقيادتها ، وحماية القوافل الخارجية كانت من سلطة الأمويين وتحت إمرتهم ، ولسنا بحاجة للبحث المضني لنتأكد من ذلك ، فالقافلة الكبيرة التي اعترضتها القوات الإسلامية في العام الثاني للهجرة في معركة بدر الكبرى كانت تحت إمرة أبي سفيان، ومعظم أموالها كانت للأمويين، (**ابن هشام**،١٩٣٦، ٣/٥٠؛ **ابن عساكر**،١٩٧٩،٦/٣٤٤) كما يدل على كبر حجم الأعمال التجارية القرشية رواية لأبى سفيان عن إحدى رحلاته التجارية ورد بها قوله : " خرجت تاجرا إلى الشام مع رهط من قريش فو الله ما علمت بمكة امرأة ولا رجلا إلا وقد حملني بضاعة " وقدر التداول التجاري السنوي لقريش في العام بما قيمته ربع مليون دينار من الذهب وهو رقم قياسي كبير لا يستهان به في ذلك العصر . هذا التوجه التجاري للأمويين ، ومعرفتهم بالشام وأمورها عمق العلاقة القديمة للأمويين بالقبائل العربية المستقرة في الشام وكذلك دعم الروابط بين الأمويين، وبين حكام الشام من عرب وبيزنطيين وهذه المعرفة الأموية بالشام وأهلها، أهلتهم لاستلام زمام المبادرة فيها ، وقيادة الجيوش الإسلامية ، وادارتها منذ التوجه الإسلامي المبكر نحوها (**العدوي**،١٩٥٣، **ص٤٣**).

ففي العصر الإسلامي لقيت هذه العلاقة الأموية الشامية دعما جديدا منذ عصر الرسول ﴿ ﷺ﴾، حيث أسند إلى كثير من الأمويين أمر الشام (**مؤنس**،١٩٩١،**ص٤٢-٤٤**) وتأكد هذا التوجه في عهد الخليفة الأول،حيث عهد إلى يزيد بن أبي سفيان بقيادة أحد الجيوش الثلاثة الرئيسة التي كلفت بمهمة تحرير الشام من سيطرة الروم ،وكانت دمشق أول ولاية يستلمها يزيد ، (**خليفة بن خياط**،١٩٦٨، ٢/١٥٧) ولما توفى سنة (١٨هـ / ٦٣٩م)، أمر الخليفة عمر بن الخطاب﴿ ﷺ﴾ (**١٣هـ - ٢٣هـ/٦٣٤م-٦٤٣م**)أخاه معاوية بن ابي سفيان على ما كان ليزيد ، ثم ولاه الأردن بدلا من شرحبيل بن حسنة(صحابي من صحابة النبي﴿ ﷺ﴾ ومن مهاجرة الحبشة في الهجرة الثانية وكان من قادة جيش ابي عبيد بن الجراح وفاتح غور الاردنٍ) ، وقد عمل معاوية على كسب رضى الخليفة الفاروق فأبقاه على الشام ، وتابع معاوية اهتمامه بالشام . ولم يأت عهد الخليفة عثمان بن عفان﴿ ﷺ﴾ إلا وكان الأمويون وعلى رأسهم معاوية المتصرف الوحيد في أمر الشام وأهله (**المقريزي**، ١٩٣٧،**ص٥٥-٥٦**) .

وهكذا تأكد التوجه الأموي حيال الشام منذ الأيام الأولى لقيام الدولة الإسلامية ، وذلك نتيجة طبيعية لهذه العلاقة المميزة لبني عبد شمس في الشام ، وأهلتهم علاقتهم هذه بأن يصبحوا أصلح العرب لقيادة البعوث الحربية وولاية العمالات ، وأتضح ذلك بأسناد معظم العمال على نواحي الشام للأمويين ، فمعظم الولاة كانوا من الأمويين، منذ عهد الرسول﴿ ﷺ﴾ (**العمد**،١٩٩٦،**ص٦٥-٧٣**) وكذلك في عهد الخليفة أبي بكر فعمر ﴿ﷺ﴾ ، وقد علق المقريزي على ذلك بقوله :" فأنظر كيف لم يكن في عمال الرسول ﴿ ﷺ﴾ ولا في عمل أبي بكر وعمر ﴿ﷺ﴾ أحد من بني هاشم ... كما أورد قائلا : ما فتحت بالشام كورة من كور الشام إلا وجد عندها رجل من بني سعيد بن العاص ميتا" (**ابن الاثير**،٢٠٠٨، ٢/٢٨٤) .

وقد حرص الأمويون منذ عهد الخليفة أبي بكر﴿رضي الله عنه﴾(١١-١٣هـ/ ٦٣٢-٦٣٤)على توجية أنظار دولة الإسلام إلى الشام ، وبفضل جهودهم ، وخبراتهم السياسية والحربية ، تم فتح الشام فتحا سريعا ويسيرا بطريقه غير متوقعة ، وقد أستغل معاوية هذا التوجه ، وهذا الجهد ، والانتصارات التي تحققت على الجبهة الشامية ، والتي كان لجهوده أكبر الأثر فيها فقد عرف عنه إهتمامه بفتح مدن الساحل الشامي كطرابلس، وقيساريه وعسقلان ، واسكنها المرابطين **(ابن طباطبا،١٩٧٣، ص١٠٤؛ الأيباري،د.ت،ص٢٤؛ السالم،د.ت،ص٣١٧-٣١٨)** وأوكل بها الحفظة ، وعمل وفقا لرأي الخليفة عمر بن الخطاب وتوجيهاته لتحصين الثغور الإسلامية ، وإقامة نظام المرابطة على السواحل ، وسار معاوية وفق سياسة محكمة مستغلا الظروف والأحداث السياسية والعسكرية والإجتماعية كافة لصالح حلمه الكبير في قيادة دولة العرب الناشئة وهو حلم قديم غذاه أبوه أبو سفيان ، وغرسته أمه هند بنت عتبة بن ربيعة أحد أشراف قريش فكانت تقول له : "ثكلتك أمك إذا لم تحكم العرب". واستفاد معاوية من أحلام الأمويين ومجهوداتهم وتراثهم القديم ومجد الإسلام المتصاعد وجهده الشخصي ، في تحويل الشام وجعلها كلها أموية ، ولم يكن ذلك متيسرا إلا بنقل الخلافة ومقرها إليها ، وجعل الدولة شامية، واتخذ من دمشق عاصمة ومقرا لدولة إسلامية كبرى، وبذلك يكون معاوية صاحب المعول الحقيقي الأول في تحويل ونقل الخلافة إلى الشام ، مستندا لتأريخ أموي طويل أصيل فخدمه هذا التحول الكبير الذي استغله افضل إستغلال ، ووجه الدولة العربية الإسلامية توجها جديدا، معتمدا على الشام وأهلها وإمكاناتها، تاركا خلف ظهره الحجاز ، واضعا اياه في المرتبة الثانية في الدولة العربية الإسلامية ، بعد ان كان يمتلك جميع مقومات هذه الدولة الناشئة ، وقد أدى هذا التحول الى نتائج خطيرة على كافة المستويات السياسية والإدارية والاجتماعية والاقتصادية عامة. وتطورت الأحداث السياسية والعسكرية لتخدم هذا الأموي الطموح المعروف بأنه أحد دهاة العرب المشهود لهم، بالحنكة والحكمة والصبر، وقد تمكن من استغلال الأحداث السياسية في اقامة الدولة الأموية ، التي عدت في مقدمة الدول العربية الإسلامية ، بعد حكومة الرسول ﴿ﷺ﴾ والخلافة الراشدة وكان معاوية مؤسسها الأول بحنكته ودرايته، وشخصيته**(المسعودي،١٩٧٣، ٢/٣٤٣)** .

ثانيا: انتقال الخلافة

بعد مقتل الخليفة عثمان ﴿رضي الله عنه﴾ (٣٥هـ/ ٦٤٤م) بويع الإمام علي﴿رضي الله عنه﴾ بالخلافة (٣٥هـ - ٤٠هـ /٦٤٤م -٦٥٦م) ، وقبلها بعد تردد ، **(الطبري،١٩٦٧، ٤/٤٢٧-٤٣٣)** لأنه كان يدرك خطورة الموقف الإسلامي ، وكانت بيعة أكثرية الصحابة من المهاجرين والأنصار من أهل الحل والعقد ، واجتماعهم على توليته ، يحتمان عليه البقاء في المدينة ، عاصمة الدولة الأولى ومعقل التوجه الإسلامي **(الدوري،١٩٨٤،ص٥٥-٦٦)**، غير أن هذا التوجه أخذ يتغير ، وبدأت قوة المدينة تضطرب ، لا سيما بعد انسحاب كل من طلحة والزبير إلى مكة ، ومن ثم خروجهما إلى البصرة ، برفقة السيدة عائشة، أم المؤمنين ، ففرض هذا التوجه الجديد على الإمام "علي" ﴿رضي الله عنه﴾الخروج بجيش الخلافة الذي كان قد استنفره لمواجهة معاوية الذي أعلن العصيان في الشام **(ابن الاثير،٢٠٠٨، ٣/٢٠٤-٢٠٥)** ، إلى تغيير وجهته نحو البصرة ، والدخول في حوار مع هذه الفئة الإسلامية التي اتخذ ت من البصرة معقلا لها ومقرا ، هكذا انتقل الصراع على السلطة إلى خارج الحجاز ، بعد أن تم الفرز السياسي على أرضه ، وظهر تكتل أكثريه الأنصار إلى جانب الخليفة علي بن أبي طالب ﴿رضي الله عنه﴾حيث وجدوا فيه التوجه الإسلامي الصحيح ، وتأمينا لمصالحهم **(بن عمر،١٩٧٢،ص١٣٦)**، ووقفت قريش بغالبيتها (عدا المهاجرين) خلف المعارضة التي بدأت وكأنها منقسمة على أمرها ، هذا ما جعل قادة معركة الجمل (٣٦هـ/٦٤٥م) يختارون البصرة ، محورا لتوجههم ، وفرضت هذه الإستراتيجية السياسية والإقتصادية الجديدة إلى نقل المعركة صوب العراق ، وحدثت المجابهة بين جيش الخلافة، والخارجين عليها ومعظمهم من قريش (مكة)، ونشبت معركة الجمل في البصرة، **(الطبري،١٩٦٧، ٤/٥٣٢،٥٠٨)** حيث خسرت فيها مكة بعضا من زعامتها ، وتوجهت بقية المعارضة بعد معركة الجمل إلى معاوية في الشام في حين انتصرت جيوش الخلافة ،وحلفائها من أنصار المدينة ، ومعسكر الكوفة ربما كان من أهم النتائج لهذه المعركة خسارة الحجاز مركزه السياسي ، فعلى أثر هذه المعركة خرجت

الخلافة منه ، وتم اتخاذ الكوفة مقرا لها بدلا من المدينة الحاضرة الأولى، وغدت الكوفة الحاضرة الثانية للدولة ، وتجمعت فيها رؤوس العرب والعاملون بالسياسة بدلا من المدينة **(ابن قتيبة،د.ت، ٩٤/١)** ولسنا الآن في صدد تفاصيل ما حدث بعد ذلك، ولكننا نريد أن نقول إن هذه الأحداث الكبرى ، هزت الخلافة ، وكانت من العوامل التي عملت على إضعاف الحجاز وحاضرته الأولى ، وبدأ دورها في الأفول رويدا رويدا وعصفت هذه الأحداث العسكرية المتلاحقة بقوة المدينة ، وظهر أن أمر عودة الزعامة إليها ضرب من المحال **(بن عمر،١٩٧٢،ص١١٨-١٣٥)**

وقد ساهم معاوية مساهمة كبيرة في خسارة الحجاز وذلك بتمركزه في دمشق ، وقناعته المطلقة بقيادة الشام وعمله الدؤوب لتثبيت هذه الفكرة ، وأخرج معاوية الحجاز من حساباته فيما يتعلق بقيادته السياسية ، ووضح ذلك **(ابن أعثم،١٩٩٢، ٤٣٠/٢)** ، بقوله : " كان أهل الحجاز أعلى الناس في أيديهم الحق فلما تركوه صار الحق في أيدي أهل الشام " وعمل معاوية بكل قوة على تحييد الحجاز ، ورأى أن ذلك مكسب لسياسته ، وإضعاف لخصمه ، وعلى الرغم من أنه لم يحقق النجاحات الكبيرة قبل مقتل علي إلا أنه تمكن من أن ينقل أفكاره إلى الحجاز ، التي غدت بعد انتصار علي في معركة الجمل بصورة عامة إلى جانبه لا سيما بعد تجديد البيعة له في مكة . **(ابن أعثم ،١٩٩٢، ٧١/٤)** استغل معاوية إخفاق مشروع التحكيم والذي خرجت أحداثه لصالحه ، واستثمر الهدنة التي حصلت ، والهزة التي لحقت بقوات الخلافة في العراق ، وخروج فئة من صفوف علي ودعوتهم القائلة : " لا حكم إلا لله " **(ابن الاثير،٢٠٠٨، ٣٢٩،٣١٩/٣)** والارتباك الذي حدث في جبهة الخلافة ، فاتجه معاوية إلى الأمصار ، بادئا أمره بمصر هادفا فك الحصار المتربص به وبقواته ، وتمكن بحنكته السياسية من استلام زمام المبادرة في هذا الإقليم وفك الحصار المفروض عليه ، وإخراج مصر من تبعيتها للخلافة وضمها إلى قبضته . **(اليعقوبي،١٩٨٠، ١٩٣/٢)** وما إن استقرت له الأمور في مصر ، حتى اتجه بأنظاره إلى الحجاز ، حيث كان بعد أن ضمه إليه ، وكسبه إلى جانبه من أبرز اهتماماته ، وأن ذلك يؤمن له تفوقا كبيرا ، فطفق يداهمه بإرسال الحملات العسكرية إليه منذ عام (٣٩هـ/٦٥٩م). **(الثقفي ، ١٩٨٧ ، ص ٣٤٤،٤٠٤)** وانتقل الصراع بين علي في الكوفة ، معاوية في دمشق إلى الحجاز وأخذ هذا يوجه الجيوش إلى الحجاز سعيا للسيطرة عليها ، وكسب تأييدها ، فرد عليه علي بحملات عسكرية معاكسة ، واستمر الحال إلى أن كانت طعنة ابن ملجم المرادي في عام(٤٠هـ/٦٦٠م) لعلى بن أبي طالب(رضي الله عنه) أثناء نهوضه للصلاة في مسجد الكوفة فجرا ، حيث وضعت هذه الطعنة حدا لبداية النهاية **(الطبري،١٩٦٧،٥/١٤٠)** ، وكانت بداية لحسم النزاع ، وجاءت لصالح معاوية ، وكانت مؤلمة للحجازيين والعراقيين على السواء ، حيث تم نقل العاصمة بشكل نهائي إلى الشام وأستمرت دمشق طيلة العصر الأموي حاضرة للدولة الإسلامية في العصر الأموي . وأدى ذلك إلى نتائج خطيرة أضرت بالحجازيين في النواحي السياسية ، والأقتصادية ، والأجتماعية كافة، حيث انكفا دور الحجاز بشكل عام والمدينة بشكل خاص ، ووضعت في زاوية الإهمال السياسي . ورافق انتقال الخلافة إلى دمشق الإهمال الواضح للحجاز ، وتحول جيش الخلافة في بعض الأحيان إلى طبقة خاصة مقاتلة ، واصبح أداة قمع للثورات الداخلية، وتمتع بامتيازات كبيرة، **(الدينوري،٢٠٠١،ص٣١٦؛ زكار١٩٨٢،ص٣١٣)** كما سلبت الحجاز الكثير من خيراته ، التي كانت ترد إلى العاصمة ، كما خسر كثيرا من تجارته وفقد جزءا كبيرا من أهميته التجارية ، وذلك بانتعاش الطرق التجارية المتجهة إلى الشرق ، عن طريق العراق وخسرت مدنه التجارية ، كمكة والمدينة أهميتها بعد أن كانت قبلة الأمصار ، ومركزا للثقل السياسي والتجاري لفترة تزيد على ثلث قرن من الزمن . وعلى أثر الإهمال المتعمد لهذا الإقليم حدث فراغ وخلل في الأوضاع الاجتماعية ، خاصة بين فئات الشباب ونشأت في الحجاز طبقة من الشباب العاطل عن العمل، فمال إلى حياة الدعة واللهو والزينة ، كما اتجه بعضهم صوب النواحي الدراسية والبحوث الدينية الإسلامية ، فأدى ذلك إلى ظهور أول مركز لدراسة علم الحديث. وهكذا نشأ في مكة والمدينة مناخان اجتماعيان متناقضان ، فقد كانت الحياة العامة حياة ترف ولهو وغناء، وكانت حياة العلماء الموقوفة على العلم منزوية في الظل لا تكاد تلفت النظر وأصبح الحجازيون بعد انتقال الخلافة إلى الشام يعيشون بعيدا عما يرفل

فيه أهل العاصمة من نعم وخيرات مما يجود به عليهم الخليفة والأمراء من أفراد البيت الحاكم ، ناهيك عن أن عاصمة الدولة تستقطب عادة أفضل العلماء وأشهر الصناع وتزدهر فيها الصناعة والتجارة والعمران ، انسجاما مع مقولة ابن خلدون:" الدولة السوق الأعظم للتجارة". **(ابن خلدون،د.ت،ص٢٣٩)**

ولقد أدى اتخاذ دمشق عاصمة للدولة العربية في العصر الأموي إلى انكفاء الحجاز النسبي بشكل عام والمدينة بشكل خاص، حيث وضعت في زاوية الإهمال السياسي وقنعت باستعادة ذكريات مجدها التليد وسؤددها المنصرم طوال فترة تمكن فيها معاوية بدهائه السياسي وبأمواله من إقناع الناس واحتوائهم في هذا الإقليم وميله إلى السكينة. غير أن "يزيد" لم يكن يمتلك صفات والده لهذا سرعان ما هب الحجازيون يعلنون الثورة في عهده في محاولة منهم لإرجاع الخلافة إلى مقرها القديم **(بيضون،١٩٨٦، ص١٤٤)** .

واستمر الحجازيون يرون أن الخلافة حق لأبناء الصحابة وليس لأبناء الأمويين الذين أسلموا مؤخرا ، ولهذا تعاظم التيار المعادي للأمويين والمؤيد لبني هاشم منذ انتقال الزعامة في هذا البيت للحسين المتصلب برأيه وبتوجهه ضد الأمويين وظهر عليه ذلك منذ تنازل أخيه الحسن عن الخلافة لمعاوية، **(المسعودي،١٩٧٣، ٨٦/٣)** وقاده هذا التوجه للاستشهاد في كربلاء دفاعا عن حقه وحق الحجاز وكانت ثورته أول ردت الفعل الثورية ضد ولاية العهد الأموية. **(السيوطي،٢١٠،٢٠٥،١٩٥٢)**

ثالثا: ولاية العهد وموقف القوى منها

شغل مصير الحكم وما ستؤول إليه دولة معاوية ، فعمل بكل طاقته على إيجاد حل لهذه المعضلة قبل موته بما يخدم التوجهات الأموية، والذي كان أكبر المؤمنين بها ، والمخططين والمنفذين لها . ولا شك في أنه نظر إلى الماضي القريب وشاهد ما نزل بالدولة العربية الإسلامية ، من فتن وحروب بسبب الحكم ، فزاده ذلك تصميما لاختيار من سيخلفه ، ولهذا ربما جاء قراره بتوريث الخلافة أمرا طبيعيا وعاديا من وجهة نظره واجتهاده ، وبعد أن مهدت الأحداث السياسية له، وتطور الفكر السياسي في الدولة العربية الإسلامية ، وبعد أن توطدت الوراثة في الشام ، وصارت الزعامة فيها للأمويين ابتداء من إمرة يزيد بن أبي سفيان، **(السيد،١٩٨٠،ص١٨)** وساندت الفئات التي وقفت إلى جانب معاوية يزيد ، وقد قام شعراء الدولة الأموية بدورهم الإعلامي وتعبئة جماهير الأمة ومهدوا بذلك لإعلان البيعة . ومهد معاوية لإعلان بيعة يزيد بتهيئته وإظهاره بالمظهر اللائق للمهمة الجديدة ، وبالتريث الذي نصح به زياد بن أبيه" **(الشايب ،١٩٧٦، ص٢٩١-٢٩٦؛ الأخطل ،٢٠٠١، ص٥٦،٣٣٦ ؛ الاصفهاني،١٩٥٢، ٢٩،٦٣/١٥)** .

وقد باركت دمشق هذا العمل ، ولعب كل من الضحاك بن قيس زعيم القيسية ، وحسان بن بحدل زعيم الكلبيين " اخوال يزيد" دورا مهما في التبشير بهذه الفكرة بين القبائل العربية . وكان المغيرة ابن شعبة قد تمكن بالدهاء والمال والحنكة من استمالة الناس وأخذ بيعتهم في الكوفة. **(عاقل،١٩٩٩،ص٩٣-٩٤)** لكن المعارضة الكبيرة ، كانت في الحجاز حيث امتنعت وفودها عن الحضور إلى دمشق لتقديم المباركة والبيعة، **(ابن الأثير،٢٠٠٨، ٥٠٦،٥١١/٣)** وفشل مروان بن الحكم في إقناع زعامة الحجاز ممثلة بالخمسة الكبار أبناء الصحابة وهم :" الحسين بن علي ، وعبدالله بن الزبير، وعبدالرحمن بن أبي بكر، وعبدالله بن عمر ، وعبدالله بن عباس" وهؤلاء يمثلون التراث الراشدي ، ويحملون في افئدتهم معاناة الحجاز، لاسيما العاصمة الأولى التي رغبت بإعادة مجدها الغابر ، ووجد أبناؤها هؤلاء في أنفسهم الحق بالخلافة فيما لو عادت الأمور إلى الشورى، وظهر ردهم بكلمة عبدالرحمن بن أبي بكر الذي حمل بجرأة على "هرقلية" الخلافة. **(ابن قتيبة، د.ت، ١٦٦/١)** وأثناء وجود معاوية في المدينة ألقى خطبته في المسجد، **(ابن عبدربه،١٩٨٣، ٣٧٢/٢)** وآشاد فيها بفضائل يزيد، محاولا إقناع الحجازيين بالحسنى ، وقد تغيب عن حضورها زعماء المدينة الذين تركوها ألى مكة معلنين بذلك تصعيد معارضتهم ، فما كان من معاوية إلا أن تبعهم واجتمع بكل منهم على انفراد ، محاولا شق جبهتهم

وتفريقهم، **(الطبري،١٩٦٧، ٣٠٤/٥)** واستخدم معهم جميع وسائل الصبر والمداهنة، محاولا بذل الأعطيات والأموال التي لم تعط أكلها . **(ابن أعثم،١٩٩٢، ٢٤٢/٤)** وأصر هؤلاء على موقفهم واختاروا ابن الزبير للتحدث عنهم ، فاتهم معاوية بالخروج عن سنة الأوائل ، وطعن بشكل غير مباشر بالخلافة الأموية وطلب من معاوية اعتماد سنة الرسول(ص) والخلفاء الراشدين الأربعة في موضوع الخلافة ، وركز ابن الزبير لإعادة الاعتبار للحجاز الذي فقد دوره المركزي وانتقدوا جميعا انفراد فرع واحد من قريش بوراثة الخلافة، **(بيضون،١٩٧٣،ص٢٥٤)** وأعلنوا تمسكهم بمبدأ السقيفة الذي يعارض مبدأ ولاية العهد في الأساس . ويظهر أن هذا الرهط من قريش كان يدافع عن مصالح الأكثرية في قريش ضد الأقلية التي استأثرت بالسلطة ، وارتبطت مصالحهم بمصلحة الدولة العامة التي سيكون الحجاز مركزها الرئيس كما كانوا يتصورون ، ولهذا عملوا على استعادة مركزه الأول وتأكيد دوره وأحقيته. ولم يكن هؤلاء النفر بنفس الصلابة في خصومتهم للأمويين ، **(خليفة بن خياط،١٩٦٨، ٢٥٧/١)** وتطورت الأحداث فدفعت كلا من الحسين بن علي وعبدالله بن الزبير إلى المنافسة الجدية والتطرف في التصدي للأمويين ، وهما اللذان كان معاوية يتوجس منهما شرا على دولته وخليفته ، وظهر ذلك في وصيته لابنه يزيد وهو على فراش الموت، ولهذا لا تستغرب أن تتفجر الأحداث المؤجلة بعد موت معاوية **(الدينوري،٢٠٠١،ص٢٠٦)** .

١- ثورة الحسين (عليه السلام)

مات معاوية سنة (٦٠هـ \ ٦٨٠م) وتولى ابنه يزيد الخلافة ، بعد أن مهد أبوه الأرض وروض الناس على إطاعة ولي عهده . وكان على المدينة آنئذ (الوليد بن أبي سفيان) وعلى مكة (عمرو بن سعيد بن العاص) وكان يشغل بال يزيد بيعة الحجاز له ، لهذا كتب إلى واليه على المدينة. **(النويري، د.ت، ٣٧٦/٢؛ العقيلي، ١٩٨٨،ص٣٥-٣٧)** " أما بعد فخذ حسينا وعبدالله بن عمر وعبدالله بن الزبير بالبيعة أخذاً شديدا ليست فيه رحمه حتى يبايعوا والسلام". ولم يأخذ الوليد بكتاب الخليفة ولا بنصيحة مروان بن الحكم أحد أبرز رجالات الأسرة الأموية في الحجاز ، والذي أشار عليه بسرعة أخذ البيعة منهم أو ضرب أعناقهم بدون تردد قبل أن يعلم هؤلاء بموت معاوية . **(البلاذري،١٩٩٦، ٢٣/٤)** وقد تمكن الحسين(عليه السلام) وابن الزبير من مغادرة المدينة إلى مكة ، **(الطبري،١٩٦٧، ٣٣٨/٥-٣٣٩)** وتضايق يزيد من والي المدينة فعزله وولى عليها " عمرو بن سعيد بن العاص (الأشدق) ." ولم يكد الحسين(عليه السلام) يصل إلى مكة حتى جاءته رسل كثيرة من الشيعة في الكوفة تحثه على القدوم إليهم معلنة ولاءها التام وبيعتها له ورفضها لخلافة يزيد . **(النويري،د.ت، ٣٨٦/٢)** ونصح الحسين بعدم الذهاب إلى الكوفة ، وذكر بما فعله أهلها بأبيه وأخيه ، واقترح عليه (عبدالله بن عباس) إذا كان لا بد من ذهابه إلى الكوفة أن يكون ذلك بعد طرد الوالي الأموي فيها وإعلان أهلها الثورة ، كما اقترح عليه الذهاب إلى اليمن إذا وجد بقاءه في مكة يشكل خطورة عليه من الولاة الأمويين **(الطبري،١٩٦٧، ٣٨٣/٥)** ، غير أن خروج الحسين(عليه السلام) إلى العراق أصبح أمرا مؤكدا فرضته طبيعة الظروف والأحداث الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعقائدية ، ويستدل على كثرة أنصاره في الكوفة من كثرة رسائلهم والتي علق عليها الدينوري بقوله إنها "ملأت خرجين " **(الدينوري،٢٠٠١،ص٢٢٩)** وما يهمنا من ثورة الحسين أنها في الأساس ثورة حجازية الأهداف والتوجه انطلقت من الحجاز مناوئة للحكم الأموي ، وهي وإن دارت رحاها وأحداثها في العراق ، فذلك لأن الحجاز والعراق كانا ينظران إلى الحكم الأموي بمنظار المعارض لتوجيهاته الدينية والدنيوية . كما أن الحجاز والعراق فقدا الخلافة ومركز الحكم ، وبيت المال والثقل المادي و الاقتصادي ، وتوجه الصناع ورجالات الخبرة والكفاءات والشعراء إلى العاصمة دمشق ، وهذا أمر طبيعي.

ومع أن ثورة الحسين(عليه السلام) انتهت بمأساة كربلاء ، وهي وإن لم تتحقق أهدافها ، فقد شكلت إحدى ردات الفعل الطبيعية ضد الحكم الأموي ، ولم يؤد إخفاقها إلى إضعاف التوجه المعارض للأمويين كما اعتقد هؤلاء ، بل على

العكس من ذلك كان من أولى نتائج كربلاء أنها كانت نقطة تحول أساسية في تطور الصراع ضد الأمويين حيث أججت الشعور ضد الأمويين في العراق والحجاز على السواء ، ودفعت بالأكثرية المكرهة على الصمت إلى إعلان ثورتها ونقمتها وبدا ذلك في ثورة التوابين (٦٥هـ/٦٨٥م) في العراق ، وثورة المدينة في الحجاز ، وهكذا كانت ثورة الحسين باكورة ثورات هزت النظام الأموي من أساسه ، وجعلته يعيش اضطرابات متلاحقة ، وكانت إحدى المحاولات الأولى التي ظهر فيها المطلب السياسي الحجازي الرامي إلى استعادة الخلافة من الشام كما أن فشلها كان ايضا فشلا للعراق في إعادة دوره السياسي الذي تطلع إليه ، وأدى كل ذلك إلى أن يصبح الحجاز محور المعارضة للحكم الأموي خلال السنين القادمة ، ولا بد من القول إنه كان بالإمكان تجنب هذه المأساة الكبيرة التي عمقت الخلافات الإسلامية والفكرية وأزمت الموقف ضد السلطة الأموية الناشئة ، التي كانت بغنى عن مأساتها وأوضحت الأحداث اللاحقة خطأ تصرف القادة العسكريين الأمويين في العراق وعلى رأسهم عبيد الله بن زياد ، وعمر بن سعيد بن أبي وقاص الزهري ، وشمر بن شرحبيل (ذي الجوشن) الضبابي الكلابي ومدى مسؤوليتهم الكبيرة والمشتركة ، كما لا يمكن أن يبرأ يزيد وهو على رأس النظام الأموي ، على الرغم مما أظهره من ندم، وحسرة وتحميل ابن مرجانة (عبيد الله) وزر هذا الحدث المروع **(بيضون،١٣٧،١٤٦،١٩٨٦)** .

٢- ثورة المدينة :

ظهر ارتباك الحكم الأموي في عهد يزيد ، من خلال الاضطراب الذي حدث في إدغرة المدينة وتذبذب ولاتها وتغيرهم باستمرار **(الطبري،١٩٦٧، ٥/٣٣٨)** ، فسرعان ما تضايق يزيد من تساهل واليه على المدينة مع الحسين وابن الزبير ، فعزله وعين مكانه "عمرو بن سعيد بن العاص " الملقب بالأشدق ، في رمضان من سنة (٦٠هـ / تموز ٦٨٠م) ، **(خليفة بن خياط،١٩٦٨، ١/٢٨٣)** غير أن هذا الوالي لم يتمكن من أخذ البيعة ليزيد ، ولم تستقر الأحوال في المدينة . واستمرت النقمة على بني أمية والتحق بعض أهلها بابن الزبير ، ونتيجة لفشله في القضاء على ابن الزبير نقم عليه يزيد وعزله وأعاد الوليد بن عتبة ، معتقدا أنه يتمكن من تهدئة الأمور **(ابو الفداء،د.ت، ١/١٨٩؛ المسعودي،١٩٧٣، ٢/٨٥)** غير أنه لم يحقق أي مكسب ليزيد ولهذا فقد خلعه وعين بدلا عنه " عثمان بن محمد بن أبي سفيان " وكان هذا فتى غرا حدثا لم يجرب الأمور ولم تحنكه الأيام ،"ولم تضرسه التجارب " **(الطبري،١٩٦٧، ٥/٤٨٠)** ويظهر أن سوء إدارته وقصور إدراكه أديا إلى تفجير الثورة في المدينة التي كانت دوافعها كثيرة ، وأهمها كره الأنصار للحكم الأموي عامة ويزيد خاصة ، إذ أخرج المدينة من دائرة النفوذ والقيادة السياسية والدينية ، وجعلها تعيش في الظل وتفقد إمكاناتها المادية وتصبح في ضائقة اقتصادية واضحة ، لم يكن بالإمكان السكوت عليها أو تجاوزها . ومن تتبع أحداث معركة "الحرة" (٦٣هـ/٦٨٣م) ، يلاحظ شدة المعارك والحماس المتبادل بين جند الشام بقيادة "مسلم بن عقبة المري ، وجند المدينة بقيادة عبدالله بن حنظلة الأنصاري ، **(ابن الاثير،٢٠٠٨، ٤/١٢٣-١١٥)** وهذا ما يدفعنا الى البحث العميق عن الأسباب الحقيقة لهذه المعركة التي ألهبت حماسة الطرفين المتنازعين ولابد من أن تكون المطالب السياسية قد ارتبطت بالمطالب الإجتماعية ، وبالتغير الاقتصادي الذي أدى إلى عمق الخلاف ولعل المشكلة الاقتصادية للمدينة تعود في بداياتها إلى الأيام الأولى لقيام الدولة الإسلامية . **(المبرد،١٩٩٧، ٢/١٥٤؛ العلي،١٩٦٩،ص١٠٤-١٠٥)** لكن الأمويين أكثروا من الاهتمام بالأراضي وامتلاكها في عهد الخليفة عثمان ، وزاد امتلاكها في عهد معاوية ، مما تسبب في وجود نوع من الاستياء العام لدى سكان أهل المدينة ، ويظهر أن سياسة الخليفة عثمان ﴿رضي الله عنه﴾ وفتح الباب على مصراعيه أمام الأسرة الأموية ، كان بداية الأزمة الاقتصادية ، وبالتالي فقد فرضت الظروف المادية السيئة على أنصار المدينة بيع ممتلكاتهم لأصحاب السلطة والثراء ، وربما يكون الوضع الاقتصادي المتدهور الذي وصل اليه الأنصار هو الدافع وراء موقفهم حيال الأمويين عامة. **(التميمي،٢٠٠٤،ص٦٣،٧٧)** ويبدو أن أفراد الأسرة الحاكمة استغلوا أموالهم في شراء الأراضي الزراعية والعقارات ، وتمكنوا بظروف استثنائية وتحت ضغط الأحوال السيئة من القيام بعمليات شراء الأراضي

بأسعار رمزية ، وتم انتقال هذه الأراضي إليهم بصورة ما ، وعلى مر الأيام شعر أهل المدينة بالغبن. **(ابن قتيبة،د.ت، ١٨٨/١)** ولهذا لا تستغرب أن يحاول هؤلاء استعادة حقوقهم في فترة بيعة يزيد ، وهناك روايات توضح امتلاك هذه الأراضي والاقطاعات بأثمان بخسة، لعل أوضحها ما ورد في الحوار الحاصل بين أهالي المدينة والوالي "عثمان بن محمد" وقولهم: "قد علمت أن هذه الأموال والمقصود هنا الأراضي كلها كانت لنا وأن معاوية أثر علينا في عطائنا ولم يعطنا قط درهما فما فوقه ، حتى مضى الزمان ونالتنا المجاعة ، فاشتراها منا بجزء من مئة من ثمنها" . **(ابن قتيبة،د.ت، ١٨٨/١؛العقيلي، ١٩٨٨،ص٥٩-٦٢)** وهذا الأمر وغيره وضع الأنصار في دائرة التبعية السياسية والاقتصادية معاوية ة للدولة. وهناك بعض النصوص التي تقدم لنا إحصائيات عن بعض الممتلكات الأموية وتبين اهتمام معاوية ، خاصة بالأرض وتحسين إنتاجها ، **(الكتاني،د.ت، ٢/٥٠-٥١)** وتوضح أن معاوية "كان يجد بالمدينة وأعراضها ألف وسق ، وخمسين ألف وسق تمرا، ويحصد مئة ألف وسق حنطة " ، هذا بالإضافة لصوافيه الكثيرة في المدينة ، ومن هنا لا بد من أن تكون هناك علاقة كبيرة بين السيطرة الأموية الاقتصادية على أهالي المدينة ، وثورة هؤلاء على هذا الواقع المؤلم . ولعل ذلك يفسر شراسة الموقف العدائي الذي اتخذه كلا الفريقين في قتاله ضد الآخر . ومن هنا يمكن أن نقرر بأن مسألة الصراع بين الحجازيين ولا سيما الأنصار منهم ، والأمويين في الشام هي قضية تم فيها دمج المبادئ والقيم بقضايا مصلحية ، متصلة بالجور وبالواقع الاقتصادي والاجتماعي للحجاز عامة والأنصار خاصة ، وما آلت إليه الأمور من خسارة هؤلاء وكسب كبير للأمويين وأتباعهم
(السمهودي،١٣٢٦هـ، ١٧٢/١) .

إذا فثورة المدينة استهدفت إسقاط الحكم الأموي ورفضه ، وانطلقت من أسباب متعددة وأسهمت الأمور الاقتصادية ، كما أوضحت مصادر متعددة بدور بارز فيها فقد جاء في كتاب المحن : **(التميمي،٢٠٠٤،ص١٤٦)** "أن أول ما هاج أمر الحرة عامل معاوية على الصوافي وممثله على ممتلكاته في المدينة ، ومعارضة أهالي المدينة للوالي عثمان الذي حاول الوقوف إلى جانب "ابن مينا " في تصديه لهؤلاء الناس الذين منعوه من حمل ما كان يحمله كل سنة من تلك "الصوافي" من الحنطة والتمر ومنع أهل المدينة من ذلك ." ولم يكن الوالي عثمان بعيد النظر ، ولم يسهم في حل الأزمة بل عمل على تفاقمها وأسهم بقسط كبير في تفجيرها وإعلان الثورة ومن ثم تم إخراجه وإخراج الأمويين من المدينة بالقوة. **(الطبري،١٩٦٧، ٤٨٢/٥)** ويذكر صاحب المحن " فأخرجوا آل مروان من بني أمية ولم يحركوا أحدا من آل عثمان ". وزاد الأمر تعقيدا محاولة عامل الصوافي "ابن مينا" استقطاع أراض جديدة في عهد يزيد مستهدفا جماعة بني الحارث الخزرجي . **(التميمي،٢٠٠٤،ص١٤٦،١٥٠)** ولعل الروايات المتعددة ، تؤكد ارتباط الثورة بمسألة الأراضي ، وهناك نص ورد في المحن لأبى العرب لا يدع مجالا للشك بأهمية النواحي الاقتصادية ، ويبين صاحب المحن أن رواته جميعا اجمعوا على أهمية هذه النواحي الاقتصادية في إشعال نار الثورة وهكذا فإن عملية امتلاك الأرض في المدينة كانت أشبه ما تكون بنظام المصادرة ، وذلك تحت اصطفائها للدولة ممثلة بالأسرة السفيانية الحاكمة، في حين هناك روايات أخرى توضح أن انتقال الأراضي إلى الأمويين ، لا سيما إلى معاوية تم بطرق متنوعة وطبيعية**(التميمي،١٥٠،١٤٦،٢٠٠٤)** .

كما كان لثورة الحسين ومأساة كربلاء صدى عنيف في المدينة وسبب لتأجيج الحماسة على الأمويين ، وزاد الاستياء وكما زاد الطين بلة ، قيام الهاشميات من أقارب الامام الحسين (عليه السلام) بالنهوض حاسرات في أحياء المدينة ، **(المسعودي،١٩٧٣، ٦٨/٣-٦٩)** وساهمن في التحريض ونزع قناع الخوف والتعجيل في الثورة ضد الأمويين ز ومم بلغت الانتباه أن التعاون بين ثورة المدينة وابن الزبير في مكة ، على الرغم من اتفاق الموقف السياسي والمعاناة المشتركة بين المدينتين ، لم يكن واضحا ، فقد تجاهل كل منهما الآخر ، أو على الأقل لم يكن التعاون بينهما كما يجب ، وربما يتحمل ابن الزبير وزر ذلك ، ويعد من جملة أخطائه العديدة التي أضعفت الجبهة الحجازية بشكل عام وأدت إلى إخفاق كل منهما ، على انفراد، **(الطبري،١٩٦٧، ٤٨٠/٥-٤٩٠)** وقد حاول يزيد جاهدا ألا يتم اللقاء بين الثورتين .

(البلاذري،١٩٩٦، ١/٣٢٩،١٢١) وأعلنت الثورة في المدينة هدف إسقاط الحكم الأموي والدعوة إلى الشورى . وظهرت الزعامات الرئيسة الثلاث التقليدية في المدينة، **(خليفة بن خياط،١٩٦٨، ١/٢٩٠)** الأنصار برئاسة عبدالله بن حنظلة الأنصاري ، المهاجرون بزعامة معقل بن سنان الأشجعى، وترأس القرشيين عبدالله بن مطيع . وتم اختيار الزعيم الأنصاري قائدا للثورة ، وربما بويع كذلك بالخلافة في المدينة . بدأت الثورة بخلع يزيد ومهاجمة الأمويين في دار شيخهم مروان بن الحكم ، وقرر الثوار إخراج الأمويين وطردهم من المدينة**(ابن سعد،١٩٥٨، ٥/٦٦-٦٨)** .

وكان من نتائج معركة الحرة الأولية مقتل كثير ، وقد اختلفت الروايات في تحديد أعداد القتلى . فهناك منذكر سبعمئة رجل وأكثر . سوى من قتل من الأنصار وسائرهم ، وقيل بلغوا عشرة آلاف ، **(التميمي،٢٠٠٤،ص١٥٨)** وهناك من أورد أرقاما أخرى أقل أو أكثر . وذكرت بعض الروايات أنه قتل يوم الحرة ثمانون من أصحاب النبي(ص) ،**(التميمي،٢٥٨،٢٠٠٤)** ولم يبق بعد ذلك بدري ، وقيل قتل من حفظة القرآن فيها سبعمئة رجل، **(التميمي،٢٠٠٤،ص١٥٩)** ومما تؤكده قوائم القتلى الإجماع الذي شهدته المدينة ضد الأمويين ، وإسهام كافة القوى السياسية والاتجاهات القبلية على اختلافها في هذه المعركة . كما ظهر تكتل قريش بغالبيتها المطلقة ضد الأمويين . **(ابن الاثير،٢٠٠٨، ٤/١٢٠-١٢١)** ولعل من أهم نتائج الحرة جرأة الناس على المدينة وفقدانها تلك الهالة التي كانت تحيط بها وتحميها . **(الطبري،١٩٦٧، ٥/٤٩٢)** وكانت هذه المعركة تشبه إلى حد ما معركة كربلاء من حيث الإيمان ، والاندفاع ، والانتقام، وموقعة الحرة تمثل عمق الصراع وذروة النضال على السلطة والنفوذ بين مكة والمدينة بالحجاز والشام ، وأدت هذه المعركة إلى الإحباط في صفوف أهل المدينة وضرب معنوياتهم وإنهاء دورهم السياسي وتحجيمهم ، وأبعدوا عن القيادة وخسروا كثيرا مما كان لهم ، ولم تقم لهم قائمة بعد ذلك ، كما علق على ذلك كثير من المؤرخين والعلماء القدامى والمحدثين. لكن الحرة عملت من ناحية أخرى على تمهيد الطريق لابن الزبير وساعدته في تقديم الدعم وكنت أحد عوامل نجاح ثورته إلى حين . وضعفت القوة العسكرية للمدينة ، وتفرق ثوارها فمال الناس فيها إلى النواحي الفنية والدينية والعلمية **(حسين،٢٠١٢،ص١٢٣)** .

٣- ثورة أبن الزبير ومعطياتها :

بعد مقتل الحسين (عليه السلام) ، دعا أبن الزبير لنفسه وبايعه الناس ، وكان يدرك أنه لا أمل له بالخلافة مع وجود الامام الحسين في مكة ، لهذا شجعه للخروج إلى الكوفة بقوله: **(عاقل،١٩٩٩،ص١٠٣-١٠٥)** " أما لو كان لي بها مثل شيعتك ما عدلت بها " وعقب الحسين على كلام أبن الزبير بقوله **(الطبري،١٩٦٧، ٥/٣٨٣)** " ها إن هذا ليس يؤتاه من الدنيا أحب إليه من أن أخرج من الحجاز إلى العراق " ولقد أستغل أبن الزبير مأساة كربلاء وأخذ يشنع بأهل الكوفة ويهاجم الأمويين ويعرض بيزيد **(عاقل،١٩٩٩،ص١٠٦)** ويبدو أنه أصبح بطل الحجاز بلا منازع ، **(الطبري،١٩٦٧، ٥/٤٧٤-٤٧٥)** والأحق بالخلافة بعد أستشهاد الحسين وبعد مأساة المدينة ، ولهذا اعتبر نفسه ولي الحسين والمطالب بدمه معيدا إلى الأذهان ما ادعاه معاوية ، يوم مقتل عثمان . وطغت على شخصية ابن الزبير الجوانب العسكرية على السياسية ، ولم يكن بعيد النظر .

تأسست دعوة أبن الزبير على المطالب السياسية والأقتصادية لإستعادة دور الحجاز الراشدي ولهذا طمع بالخلافة وعمل على استعادة الاعتبار لتيار المهاجرين وأعتقد أنه بإمكانه إحياء التيار المعتدل في قريش الفاصل بين الهاشميين والأمويين . وحاول أن يربط بشخصية تآلف الجمع من الحجازيين . ولكن أبن الزبير أخطأ إذ لم يتعامل مع المعطيات الجديدة التي حدثت للدولة العربية والمجتمع الإسلامي ولم يلتصق بالأنصار، وخاصة بالعراق الذي ابتعد عنه . وربما كان خياره الأفضل والوحيد لنجاح ثورته باعتباره العدو العنيد ضد الأمويين ، مدفوعاً من وراء هذا الإبتعاد بحجازيته المفرطة بالتعصب لها وإيمانه المطلق بعودة قيادتها ، ومدعما بالتأكد الذي حظي به في الحجاز أكثر من سواها ، ولاعتباره أحد

أبناء الصحابة البارزين ، ولعل من المناسب أن نتعرف على مواقف القوى المحيطة بابن الزبير وعلاقته بها وسياسته تجاهها وعلى رأس هؤلاء الأنصار ، وهم القوى التي كان يحسب لها الحساب الأول منذ هجرة الرسول ﴿ ﷺ﴾ وحتى معركة الحرة ، وقد وجدوا الآن أنفسهم مع أبن الزبير ضد الأمويين وقالو إنه **(ابن الاثير،٢٠٠٨، ٤/١٢٩-١٣٠)** إذا هلك الحسين علية السلام فلا أحد ينازع ابن الزبير . وقدمت فلول من الهاربين من الحرة إلى مكة والتحقت بقوى أبن الزبير ، وكرهو غزو مكة وحاولوا منع ذلك دون جدوى والتف أهل المدينة حول حركة أبن الزبير الحجازية ، وأظهروا حماستهم الشديدة نحوه ، غير أن هذا الموقف لم يكن الآن قويا بعد أن ضعف أثر المحنة الكبيرة التي حلت بهم بعد الحرة **(البلاذري،١٩٩٦، ٢/٢٤)** .

أما الموقف الهاشمي في الحجاز وعلاقة ابن الزبير بقيادتهم ، فيتلخص بعدم التزامهم الوقوف إلى جانب أبن الزبير وانعزالهم في الطائف ، وهي المدينة التي حافظت على الولاء للأمويين . وعلى الرغم من أن قوتهم قد دمرت بعد مأساة كربلاء لكن هؤلاء شعروا بأن ابن الزبير بإعلانه الخلافة لنفسه اعتدى على حقهم فيها ، وأظهر هؤلاء الرفض لابن الزبير وحاول يزيد كسبهم إلى صفة وربما كان أنجح سياسة من أبن الزبير حيالهم ، بإظهار التودد إليهم ، وتجلى ذلك بإرساله خطاب الشكر إلى عبد الله بن عباس وفيه يشكره على موقفه السلبي من أبن الزبير ورفضه البيعة له ، وطلب منه أن يحث الناس على بيعته وابتعادهم عن أبن الزبير . ولكنه لم يتمكن من كسب ود الزعيم الهاشمي ودماء كربلاء لا تزال غزيرة ولا يمكن أن يوقف نزيفها الدموع ولا الأموال أو الرسائل**(اليعقوبي،١٩٨٠، ٢/٢٤٧-٢٤٨)** .

وأما الموقف الرسمي لأبناء الصحابة عدا الهاشميين ، فقد اتفق هؤلاء في المعارضة المبدئية لخلافة ابن الزبير مع الهاشميين أيضا ، وكان رأيهم بأن حركته ليست البديل المطلوب للحكم الأموي ، ومثل هذا توجه عبدالله بن عمر ، الذي وجد في ابن الزبير مجرد ساع من أجل الحكم وحب السيطرة ووصفوا دعوته بأنها تفتقر إلى الحد الأدنى للمطلوب الإصلاحي الذي تقتضيه تلك المرحلة . وهذا ما عبر عنه ابن عمر صراحة بقوله عن ابن الزبير : إنه "لا يطلب سوى الخلافة ". **(بيضون،١٩٧٣،ص٢٩٨)** وهكذا أخطأ ابن الزبير في كسب المهاجرين من أبناء الصحابة الكبار واستقطابهم وخسر تأييدهم الفاعل في الخلافة ، وفقد بذلك مسوغا مهما في مطلبه القاضي بالثورة ضد يزيد ، الذي حول هذا النفوذ إلى صفوفهم وضرب جبهة ابن الزبير وخسارتها في النهاية .وانطلاقا من مكانة مكة وقداستها ، اعتقد ابن الزبير وأصحابه أن الأمويين لن يقدموا على مهاجمتها ، وقد لا تتكرر محنة المدينة التي كان لها أسبابها الخاصة ، وربما تغافل هؤلاء وغاب عن خلدهم عمق الصراع السياسي وإبعاد التمسك بالنفوذ والسلطة ، والأمويون لن يتخلوا عن حق صار مكتسبا لهم مهما كانت التضحيات . وتصوروا أن الجيش الشامي لن تتعدى مهماته محاصرة ابن الزبير والضغط عليه للإستسلام والبيعة ليزيد . لكن المتبصرين السياسيين أدركوا أن يزيد ومعاونيه وما عرف عنهم من تطرف، **(الطبري،١٩٦٧، ٥/٤٨٤)** لن يتقاعسوا عن أي عمل يدرأ الأخطار التي تعترضهم .وربما كان من أخطاء ابن الزبير التي ارتكبها ، قراره إخراج الأمويين من المدينة وايعازه بذلك لواليه عليها عبيد الله بن الزبير**(ابن الاثير،٢٠٠٨، ٤/١٤٥)** بطردهم منها ، ووجد هؤلاء المسوغ لخروجهم بعد أن أصبح أمرا ملحا إثر معركة الحرة ، ولم يكن من السهولة العيش بسلام في المدينة ، كما غدت الشام تجذبهم نحوها للاشتراك في السلطة والحكم . وسرعان ما تنبه ابن الزبير على خطئه ولم يتمكن من إعادتهم وصدقت توقعات القرشيين ، وخشية ابن الزبير من ارجاع هؤلاء الذين وصلوا إلى الشام وهي بأمس الحاجة إليهم وأسهموا كثيرا في حل الأزمة السياسية الكبيرة التي كادت تنهي الدولة الأموية ، خاصة بعد موت يزيد المفاجئ في (٦٤ها ٦٨٣م) ، **(الطبري،١٩٦٧، ٥/٥٣٠)** وخروج الأمويين متحدين في مؤتمر الجابية (٦٤هـ/٦٨٤م) **(ياقوت الحموي،٢٠٠٧، ٢/٩١)** ثم منتصرين في معركة مرج راهط (٦٤هـ/٦٨٤م) . **(ياقوت الحموي،٢٠٠٧، ٥/١٠١)** غير أن التصرف الأموي حيال مكة وحصارها ، كان له الأثر الأكبر على الجبهة الزبيرية وحصولها على التأييد ، مستغلا ابن الزبير ببراعة واضحة حريق الكعبة المروع لمصلحته الخاصة . وسواء أكان حريق الكعبة مفتعلا من أنصار ابن الزبير ،

(البلاذري،١٩٩٦، ٣٤٣/١) أم أن ذلك حدث مصادفة وقضاء ، وقدرا أضرمته شرارة عابرة في يوم الثالث من ربيع الأول ٦٤هـ٦٣٨م، وقبل وفاة يزيد بأيام ، فقد جاء الحدث مؤثرا للغاية في مشاعر المسلمين وكان ذلك لصالح أبن الزبير وكسب الشعور العام نحوه**(الأزرقي،٢٠٠٣، ١٩٧/١-١٩٨)** .

هكذا توجهت الأفكار وازداد الناس توجها نحو مكة وأزدادوا تعاطفا مع قضية أبن الزبير وخلافته وبعدها بايعت مصر والعراق ، **(ا بن الاثير،٢٠٠٨، ١٤٤/٤)** والحجاز وأهل الجزيرة ، وأهل الشام إلا أهل الأردن ، أبن الزبير ، ومناطق أخرى . وعلى إثر وفاة يزيد أعلنت الهدنة العامة بين المقاتلين ، وعقد أجتماع في الأبطح ، **(الطبري،١٩٦٧، ٥٠٣/٥)** بين القائد الشامي الحصين ، وأبن الزبير لمناقشة الأحداث الطارئة . وكان موقف القائد الحجازي ينم عن تمسكه بالموقف الحجازي ، وبعدم الخروج على رأي مستشاريه من الحجازيين وبدأ ذلك بقوله **(البلاذري،١٩٩٦، ٣٥١/١)** " إن لي أمراء لست أقطع أمرا دونهم فأنظرهم ثم يأتيك رأيي " وقد صرح أقرب المستشارين لابن الزبير "عبد الله بن صفوان " وهو من أوائل المبايعين له بالخلافة بعد موت يزيد بن معاوية بمعارضة الأنتقال إلى الشام ، واستبعد هذا الأنتقال والخروج إلى الشام وذلك بدافع التعصب للحجاز وتوجهاتها السياسية **(ابن اعثم،١٩٩٢، ١٨٣/٤)** .

ويبدو أن إيمان أبن الزبير بحجازيته وبالفكرة التي دافع عنها كانت قوية وقناعته مطلقة وظهر ذلك في حواره مع امه أسماء بنت أبي بكر ، في لحظاته الأخيرة ، ولهذا لم يقبل المساومة على هذا الحق رغم الإغراءات الأموية له ،لكنه استشهد من أجله غير أن أبن الزبيرلم يتمكن من الاستفادة من الوقت واللحظات الحاسمة وممن أيدوه كرها بالأمويين ، وفشل في تجمع القوى المناهضة لهم ولم يوحدها في جبهة واحدة، ويستخدم ذلك ضد عدو مشترك ، ولا سيما في فترة دانت له معظم أقاليم الدولة العربية الإسلامية وبايعته بعد موت يزيد ، وقد لا يكون السياسي المحنك الذي يستفيد من الظروف الملائمة **(الطبري،١٩٦٧، ٥٠٢/٥)** .

ولم يقتنع مطلقاً بأن الحجاز أصبح غير قادرة على قيادة الدولة العربية الإسلامية ورئاستها ، بعد أن أ صبح التوجه مفروضاً للمراكز الجديدة في العراق والشام ، واستمر متمسكا بموقفه في مكة ، وأرسل أخاه مصعباً إلى العراق ، حيث قدم له دعما اقتصادياً وبشرياً ، وشكل مصدر التمويل الأساسي في حركته ، كما كان مركز المواجهة الفعلية في الصراع ضد الأمويين ، وترك زمام الأمر بالعراق لأخيه الذي لم يكن مطلق الصلاحية فيها ، إنما كان محكوما بأوامره وكثيرا ما حدث التناقض بين أوامر الأخوين مما أضعف الجبهة الزبيرية بشكل عام أمام التلاحم الأموي **(فلهاوزن،١٩٦٨،ص١٩٥)** .

لهذا وصف أبن الزبير بأنه لم يكن السياسي الموفق وقال عنه اليعقوبي " لم يصلح أن يكون سائبا " **(اليعقوبي،١٩٨٠، ٢٧٤/٢)** كما كانت تعوزه المرونة والدهاء والمبادرة ،بالإضافة لما اتصف به من البخل ، وهذا ماأبعد عنه الطامعين والشعراء وطالبي المال ولم يتمكن من فرض العطاء وتقديمه في الوقت المناسب ، وعجز عن مجاراة الأمويين في العطاء وكسب وسائل الدعاية والأعلام ، خاصة الشعراء وقد ترك ذلك تأثيره السلبي على وضعه ، ولم يتمكن من مجاراة خصمه عبد الملك في استقطاب الناس وجذب الشعراء لبلاطه وهؤلاء كان لهم دورهم الكبير في التأثير على الناس والدفاع عن النظام الأموي الذي تمثل في هذه الحقبة بالخليفة القوي عبد الملك بن مروان ، ولهذا لا نستغرب أن يكون النصر للأمويين ممثلا في عبد الملك بن مروان وشخصيته الفذة النادرة كرجل دولة بكل ما تعنيه العبارة .والقائد الناجح الذي صقلته الأحداث وخرج من خضم الأهوال ليثبت أنه بطل المرحلة الجديدة **(ابن قتيبة،د.ت، ٢٣/٢)** .

رابعا : السياسة الأموية في الحجاز في الفترة السفيانية

تنازل الحسين (عليه السلام)عن الخلافة في الكوفة سنة ٤١هـ / ٦٦١م **(ابن الاثير،٢٠٠٨، ٤٠٥/٤-٤٠٦)** لمعاوية (رضي الله عنه)، وكان الوضع في الحجاز يتلخص في موقف قريش في مكة (ماعدا المهاجرين) المؤيد لمعاوية ، ويظهر هذا الموقف منذ عهد علي (رضي الله عنه)وشكواه منهم وخيبة أمله الظاهرة ، وقد عبر في أكثر من مناسبة عن مواقف قريش منه ، وظهر في خطبة المرارة والإستياء **(ابن ابي الحديد،١٩٦٥، ١٠٣/١)** من هذه المواقف في مناسبات كثيرة . ثم مال هؤلاء

بعد التحكيم لصف معاوية ، بدون تحفظ .وأما المهاجرون من قريش فقد اعتزل بعظهم السياسة ، فحرص معاويةعلى تدعيم علاقته معهم وكسبهم لصفه ولم يحالفه الحظ باحتوائهم وكسبهم ، واشتكى معاوية من موقفهم وقال إنه لم يؤخرهم إلانهم انصرفوا عنه. واستمر الوضع الغير العدائي في مكة بصورة عامة حيال معاوية نتيجة لأعتبارات عديدة في مقدمتها العلاقة بين قريش التي استلمت الزعامة غير أنها نقلتها إلى الشام ولم تكن خسارة مكة تقارن بخسارة المدينة التي كان دورها يختلف عن دور مكة في الدولة الجديدة **(فلهاوزن،١٩٦٨، ص١٣٠)** .

أما سكان المدينة وأنصارها ، فقد شكلوا القوة الحقيقية التي تحالفت ضد الأمويين وانتقالهم إلى الشام ، وشكلوا النواة القوية والاتجاه المتطرف ضد معاوية . ولم يتمكن معاوية من اختراق صفوفهم أو يتمكن من مساومتهم على مواقفهم واستمر معظمهم على موقفهم حتى بعد اغتيال الإمام علي وتنازل الحسن لمعاوية ، وظهرت مواقفهم برفض قيس بن سعد الأنصاري بيعة معاوية وبقوله لقواته وجماعته **(الطبري،١٩٦٧، ٥/١٦٠-١٦٤)** "اختاروا الدخول في طاعة إمام ضلالة أو القتال مع غير إمام" . وهم بموقفهم هذا رأوا أنهم يناصرون الإسلام ويقفون إلى جانب التيار الإسلامي الذي كان علي يمثله ، واستمروا بنصرته حتى بعد رجحان كفة الأمور لصالح معاوية ، وانتصار تياره القبلي والأقل تمسكا بالإسلام . وقد ظهرت مواقفهم المبدئية بمناسبات متعددة ولم يشترط قيس بن سعد وأيوب الأنصاري على معاوية أية شروط نفعية خاصة واكتفوا بأخذ الأمان لشيعتهم، لكنهم دخلوا جميعا في الطاعة ، وبايعوا معاوية ، واستكانوا له**(الاصفهاني،١٩٤٩،٦٥؛الذهبي،٢٠٠٦، ٧٢/٣)** .

وعندما تجمع سكان المدينة من مهاجرين وأنصار شكل هؤلاء اللحمة الاجتماعية التي عارضت الأمويين وقبلوا حكمهم مرغمين ، وتوحدت في المدينة مشاعر معظم قاطنيها الذين ربطت بينهم مصالح مشتركة وأضرار واحدة ، نتيجة طبيعية لانتقال الحكم إلى الشام وربما كان الضرر وراء الموقف المتلاحم مع الإمام علي ضد الأمويين الذين سلبوهم حقا لهم وامتيازات اكتسبت . وهكذا تجمع أكثر الأنصار الذين لم يتعاونوا أو يستفيدوا من الأمويين مع مجموعة من أبناء الصحابة الكبار المهاجرين من قريش ، وتوحدت عندهم روح التمرد والاستقطاب لجميع العناصر الناقمة على الأمويين لاستئثارهم بالخلافة والحكم ، وتجمع هؤلاء في المدينة أكثر من مكة وذلك لأن صلة أهل مكة بالأمويين كانت أقرب ، ثم إن بعضا منهم التحق بالأمويين في الشام سعيا وراء السلطة والنفوذ ، أما الطائف : وخاصة سكانها من ثقيف ، فرغم أنهم وقفوا على الحياد ولم يشتركوا بالحروب الطاحنة ، لكن زعامتها اقتربت من الأحداث السياسية واشترك المغيرة بن شعبة في التحكيم ، وكان أحد شهوده لكنه ما إن أدرك أن كفة معاوية قد رجحت حتى مال إليه وكذلك معظم ثقيف ، وأعادوا إلى الوجود التحالف القديم بين مكة والطائف . ولم يمض الوقت الطويل حتى غداً الثقفيون شركاء الأمويين في الحكم ، وكان لدور بعض زعامتها الأثر الواضح في استقرار الأمور في الدولة العربية الأموية واستمراريتها ، وخدم بعض من رجالات ثقيف ممن اشتهروا بالدهاء مصالح الحكم الأموي وبرز منهم نفر من أصحاب المواهب الكبيرة كالمغيرة وزياد والمختار والحجاج ومحمد بن القاسم **(فلهاوزن،١٠٨،١٩٦٨)** وغيرهم كثير ممن طغت أخبارهم على أخبار الخلفاء أنفسهم .وأحدث انتقال الخلافة إلى الشام انعكاسات مباشرة على الأوضاع العامة في الحجاز وحقق نوعا من التباين بين مدنها وقبائلها وتوجهات أهلها وأدى ذلك إلى قيام جبهتين الأولى معادية للأمويين ، وتركزت في المدينة والثانية مؤيدة لهم وتجمعت في مكة والطائف . أما القبائل العربية البدوية التي كانت خارج مدن الحجاز الرئيسة ولم تنهض أثناء عمليات الفتوح وتخرج من الحجاز ، فقد تضررت نتيجة لقلة الموارد المالية والغنائم ونقص العطاء ، وهي أمور لها أهميتها في موارد هذه التجمعات القبلية ، وتذمر هؤلاء من دفع فريضة الزكاة أثر هذا التحول الجديد وما رافقه من ضيق مادي ، ولم تنصفهم السياسة الأموية أو تعتمد عليهم كقبائل الشام الحليفة لها بل تجاهلتهم ، ولهذا فقد اتخذت هذه القبائل موقفا سلبيا تجاه الأمويين في الشام ، واتجهت هذه القبائل مدفوعة خلف مصالحها ووجدت نفسها متجهة لجبهة المدينة ومبتعدة عن جبهة مكة والطائف الحليفة للأمويين**(الطبري،١٩٦٧، ٥/٤٩١)** .

ولقد ظهرت سياسة معاوية وتوجهاته حيال الحجاز في أوامره العسكرية الصريحة إلى القادة الذين كلفوا بتطويع الحجاز ، وضمه إلى السلطة **(البلاذري،١٩٩٦،ص٤٥٣)** الأموية في دمشق وكان الأسلوب العسكري الذي سلكه معاوية في هذا السبيل يعتمد على الضغط الواضح على أهل المدينة ، مع استخدام اللين والحذر مع أهل مكة ، واستخدم وسائل متعددة للحصول على السلطة والخلافة ، ولكن كان السيف هو الحد الفاصل ، غير أنه بعد أن استقرت الأمور له نسبيا وبعد بيعة الحسن ، أخذ يغير سياسته وينزع ألى السلم مع هذا الإقليم لأسباب كثيرة بعضها معنوية يستند على تراثه الغابر ، والمتمثل بأنه منبع الرسالة ورمز الأمة ومركز تجمع الصحابة وأبنائهم .وأخذ معاوية يميل إلى اللين ورفع السيف عن رقاب الرعية في الحجاز والمعلوم أن معاوية من الرجال القلائل الذين اتصفوا بالحلم وعرف بأنه داهية **(المسعودي،٢٠١٦،ص٢٦١)** ذو حرص وحزم وظهر حلمه في سياسته للحجاز ، بمناسبات متعددة لعل فيض مقدمتها ، تحدي قيس بن سعد له بعد بيعة الحسن ومهاجمته علانية ، ورغم أن عمرو بن العاص أثار ضغينته وحرصه على قتاله، لكنه أحجم عن ذلك رغم المقدرة ، وذلك تعظيما وتكريما له ولقومه من الأنصار وحرصه الشديد على احتوائهم وكسب مودتهم . **(النويري،د.ت، ٢٨٩/٢)**

كما ظهر حلمه ومعاملته لأهل الحجاز وبمناسبات أخرى متعددة تصف حلم معاوية خاصة مع الأنصار في المدينة وتبين دهاءه حتى إن ابنه يزيد تضايق وخاف على أبيه أن يتهم بالضعف والجبن . **(ابن عبد ربه،١٩٨٣، ٤٠١/٤)** . وتابع معاوية سياسته هذه رغم أنه لم ينس الموقف العدائي لأهله خاصة الأنصار منهم وظهر ذلك في مناسبات كثيرة وبين أن موقفه تجاههم وتجاهله لهم يعود لموقفهم السلبي **(المسعودي،١٩٧٣، ١٧/٣)** منه وقال عنهم :" والله لقد كنتم قليلاً معي كثيرا علي ، ولقد فللتم حدي يوم صفين حتى رأيت المنايا تلظى في أسنتكم " **(البلاذري،١٩٩٦، ٧٥/١)** كما توضح كلمة بسر بن أبي ارطأة لأهل المدينة رغم موقفهم المعادي حلم معاوية وحرصه على استمالتهم من قول بسر لهم : " لو لا ما عهد إلى معاوية ما تركت محتلما إلا قتله ." **(الطبري،١٩٦٧، ١٣٩/٥)**

لقد كانت السياسة الأموية في الحجاز تنسجم مع أهمية هذا الإقليم وتهدف إلى منع استغلاله لغير مصلحة الخلافة الأموية، كانت أهمية الحجاز تأتي من موقع الزعامة الغابرة لمكة القديمة ومن تجمع أبناء الصحابة فيه ، ولهذا اهتم معاوية بأحتوائهم بعدهم قياداته البارزة ، وعمل جاهدا على استقطابهم وحال دون استغلالهم وتحركهم ضد مصالح الدولة وتوجهاتها . وحاول معاوية أن يجعل من هذا الأقليم مجرد تراث قديم . وعلى هذا الأساس حدد معاوية ارتباطه به وعمل جاهدا على مداراته ومنع سفك الدماء فيه ، إلا أن هذا الإقليم تعرض بعد معاوية لحملات عسكرية انتقامية خاصة عندما شعر النظام الأموي بخطره عليه ، ووضحت هذه السياسة في معركتي الحرة وضرب الكعبة في عهدي كل من يزيد وعبد الملك بن مروان ، وفي هذه الفترة أيضا تفوقت المدينة سكانيا على مكة والطائف على أثر الهجرة الكبيرة لأبنائهما إلى الشام نتيجة للعلاقات الحسنة بين قريش وثقيف ، ولهذا استمرت المدينة مركزا للحجاز وموطن تجمع واستقطاب للمدينتين مكة والطائف اللتين سارتا في فلكها . واستمر الوضع كذلك حتى ثورة ابن الزبير حيث استقر هذا في مكة لأسباب خاصة به وبثورته التي لم تلحق الحماسة الشديدة في المدينة**(الأزرقي،٢٠٠٣، ١٩٧/١-١٩٨)** .

واستمرت المدينة مركز الثقل السياسي والإداري والأقتصادي والأجتماعي للحجاز في العصر الأموي ، وعلى هذا الأساس ازداد اهتمام الخلفاء الأمويين بها كما كانت هناك أسباب اقتصادية أيضا تتعلق بإمتلاك الأمويين لمزارع وممتلكات كثيرة فيها ، من أرض وبساتين **(العلي،١٩٦٩،ص٩٩٥)** حتى تفوق هولاء في ملكيتهم على الأنصار مما أثر على أوضاعهم المادية وزاد في فقرهم وتضررهم ، وتأففوا من هذا الوضع ، واظهروا انزعاجهم علانية وأعلنوا ذلك صراحة أمام معاوية عندما قصد الحجاز في سنة (٤٤هـ/ ٦٦٤م) **(السيوطي، ١٩٥٢ ،ص٢٠١)** وقام بزيارة المدينة ، وما اقترب منها حتى لقيه أهلها ومعظمهم مشاة فقال معاوية **(البلاذري،١٩٩٦، ١١٦/١)** "ما منعكم من تلقي من بعد كما تلقاني الناس من بعد ؟ فقال ابن لسعد بن عبادة يقال له سعيد : منعنا من ذلك قلة الظهور وخفة ذات اليد بإلحاح الزمان علينا

وإيثارك بمعروفك غيرنا . فأين المدينة الآن من حالها زمن الخليفة عمر (ﷺ) ، وكيف لا تبدي انزعاجها وقد أصابها هذا الضنك وهذا الإهمال الذي أقلق بعض القادة منها والذين كانوا على علاقة وطيدة بالأمويين ومن القلة الذين التحقوا بمعاوية وعلى رأسهم " النعمان بن بشير " الذي قدم بجماعة من الأنصار إلى معاوية يعرضون له ما وصلوا إليه من فقر وفاقة ولم يستطيع هذا الزعيم الأنصاري رغم علاقته الحسنة بالنظام الأموي أن يحقق لهم مطالبهم ويرفع عنهم هذا الحيف والحرمان . **(ابن أبي الحديد،١٩٦٥، ٣٢/٦)** ولم يعطهم معاوية شيئا يذكر وربما كان هذا في بداية حكمه ونتيجة لتأثيره بمواقفهم العدائية نحوه ، ولن سرعان ما تغير موقفه بعد أن استقرت له الأمور ، وهدأت الأحوال . كما تضايق من وضعهم السيء هذا أنصاري آخر حليف مهم للأمويين هو عبدالرحمن بن حسان بن ثابت ، واستفزه ما حل بهم وظهر ذلك واضحا في شعره . **(السيوطي، ١٩٥٢،ص٢٠١-٢٠٢)**

ومما زاد في نقمة أهل المدينة على معاوية أنه كان يجلب الخيرات من مكة والمدينة من حنطة وتمر إلى الشام لنفسه ، كما كان يفعل بغيرها حسب ما يورده اليعقوبي ، " فقد فعل معاوية بالشام والجزيرة مثل ما فعل بالعراق من اصطفاه ما كان للملوك من الضياع وتصييرها لنفسه خالصة ، وأقطعها أهل بيته وخاصته ، وكان أول من كانت له الصوافي من جميع الدنيا حتى بمكة والمدينة فانه كان فيها شيء يحمل فيه كل سنة". **(اليعقوبي،١٩٨٠، ٢/ ٢٣٤)** وكانت هذه الصوافي والأملاك الكبيرة للأمويين وخاصة للخليفة معاوية والسياسة الأموية في الحجاز ، والتي وضحت بشكل واضح في معركة الحرة. **(التميمي،٢٠٠٤،ص١٤٦)** لكن خلافة معاوية رغم هذا وذاك كانت هدنة وتمكن بفضل سياسته الحكيمة أن يجعل فترة حكمه سلاما شاملا بين جميع الفئات في الحجاز ، ولم يسمع عن أحداث كبيرة في مدنه اللهم إلا بعض أنواع من المهاترات كانت تظهر بين حين وآخر بين الشعراء وهجاء بعضهم بعضاً، وقد تصدى معاوية لمثل هذه السجالات وأمر بمعاقبة مثيريها وضربهم بالسياط حتى لا يوقظوا الفتنة والعداءات ، **(المبرد،١٩٩٧، ١٠٣،١٥٤/١)** واكتفت المعارضة في الحجاز بالهجوم الكلامي وأبقت السيف جانبا خاصة بعد مبايعة الحسن والتزام الحسين وغيره رغم عدم ارتياحهم للأمويين . وقد عمل الحسن على تهدئة الأحوال في الحجاز. واستمرت معارضة الحجاز الكلامية طيلة فترة حكم معاوية التي توضح أنهم لم يكونوا على وفاق مع معاوية ولم يظهروا تأييدا واضحا له ولم يتمكنوا من إخفاء شعورهم حيال ذلك. **(ابن عبد ربه،١٩٨٣، ١١٦/٤)** وقد أظهر أهل الحجاز غضبهم واستياءهم إزاء قتل معاوية لحجر بن عدي الكندي ورفاقه وشاركوا الشعور العام الإسلامي لهذه المأساة التي ارتكبها معاوية ، واستاءوا من موقف معاوية وتساءلوا عن غياب حلمه حيال حجر ورفاقه في هذا الموقف ، وذلك لما اتصف به حجر من إيمان وصلابة في العقيدة ، وحب لآل البيت ونصرة لهم ، وظهر استياء الحجاز لمقتل حجر حيث إثار مقتله قرائح الشعراء ونظمت في رثائه قصائد طويلة . **(ابن سعد،١٩٥٨، ٢٢٠/٦)**

خامسا: الإدارة الأموية في الحجاز في الفترة السفيانية ونتائجها

وضع معاوية أسس السياسة الإدارية الأموية في الحجاز التي استندت على اهتمام الأمويين بهذه الولاية اهتماما خاصا لأنها كانت العاصمة الأولى للدولة العربية الإسلامية ، كما أنها استمرت مركزا للاستقطاب وتجمعا لأبناء الصحابة الكبار الذين تباينت إتجاهاتهم وتطلعاتهم ، كما وفد إليها معتزلوا السياسة ليكونوا بعيدين عن الضوضاء والاضطراب السياسي . **(حتي،١٩٥٠، ٣٠٥/٢)** وقد هدف معاوية إلى جعل هذا الإقليم يتجه نحو الأسرة الحاكمة ، وحاول أن يبعده عن الاستغلال .ولهذا اتجه معاوية لوضع هذا الإقليم تحت الحكم المباشر للعاصمة في دمشق ، وذلك بإسناد إدارة الإقليم إلى رجال من الأمويين كان معاوية نفسه صاحب القرار الأول في تعيينهم ، ولكي تبقى سلطته قوية على الحجاز سلط سيف العزل على رقاب هؤلاء الولاة الذين كانوا يستمدون سلطتهم من الخليفة ، الذي كان يحرص على أن تكون هفواتهم قليلة بعكس ولاة العراق الذين حكموا باستقلالية واستمرارية واستعملوا منتهى العنف والشدة هناك**(الدينوري،٢٠٠١،٢٨٠)**

حتى فاقت أخبارهم أخبار معاوية نفسه .وربط معاوية الحجاز مباشرة بالعاصمة ، بواسطة نفر من الولاة الأمويين من أصحاب الخبرة والقادرين على فهم نفسية الأهالي ومواجهتهم بما يتفق مع ميولهم ، وجعل معاوية من مدن الحجاز مدرسة يدرب فيها أبناء البيت الأموي على إدارة تلك الولاية والسماح لهم بالتدرج في تلك الإدارة ، وفق خطوات مقررة ، فقد أورد الطبري : " كان معاوية إذا أراد أن يولي رجلا من بني حرب ولاه الطائف ، فإن رأى منه خيرا وما يعجبه ولاه مكة معها ، فان أحسن الولاية وقام بما ولي قياما حسنا جمع له معهما المدينة ، فكان إذا ولى الطائف رجلا قيل : هو في أبي جاد (أي في أول الأمر) ، فإذا ولاه مكة قيل : هو في القرآن ، فإذا ولاه المدينة قيل : هو قد حذف." **(الطبري،١٩٦٧، ٢٩٦/٥)**

وكان أكثر ما يعيق عمل الولاة عدم البقاء طويلاً في السلطة ، حيث غدت تناوبية بين شخصية وأخرى ، وكان معاوية يهدف إلى تحقيق المراقبة الشديدة لهذا الإقليم ، وتحجيم دور قياداته ، وكثيرا ما كان يوقع بينها (**الطبري**،١٩٦٧، ٢٩٣/٥-٢٩٤) ويحاول بكل ما يمكن أن يلم بعوامل التذمر ، ولا يسمح للولاة باستغلالها وهي سياسة تمكن معاوية من خلالها الحفاظ على وحدة الدولة ومنع الانقسام في عهده .واشتهر من أمراء هذه الولاية ، مروان بن الحكم ، وسعيد بن العاص ، والوليد بن عتبة بن أبي سفيان ، وهؤلاء ولوا على المدينة ، ثم خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة المخزومي ، وعتبة بن أبي سفيان ، وهؤلاء كانوا على مكة ؛ أما الطائف فقد كانت تتبع مكة قبل أن يضم معاوية الحجاز ويبدو أن الحجاز استمرت وحدة إدارية طوال العهد السفياني (خليفة بن خياط،١٩٦٨، ٢٧٨/١) منذ أن تولى مروان إمرة المدينة لأول مرة سنة ٤٤هـ . وكان مركز الحجاز المدينة (بيضون،١٩٧٣،ص٢٢٦) وغالبا ما أسندت هذه الولاية الموسعة إلى كل من مروان وسعيد بن العاص أبرز الشخصيات الأموية في الحجاز حيث تناوبا السلطة على هذا الإقليم بأمر من معاوية كما حدث في سنة ثمان وأربعين للهجرة عندما عزل مروان وعين سعيد بن العاص، (ابن الاثير،٢٠٠٨، ٤٦٠/٣) وشغلها حتى سنة أربع وخمسين حيث أستبدل بالأول (الطبري،١٩٦٧، ٢٩٣/٥) واستمر مروان إلى سنة ٥٧هـ حيث عزله معاوية وعين ابن أخيه الوليد بن عتبة بن أبي سفيان (الطبري،١٩٦٧، ٣٤٣/٥) وظهر أن يزيد سار على سياسة أبيه الإدارية في الحجاز حيث عزل الوليد وأقر عليها عمرو بن سعيد الأشدق عام (٦٠هـ /٦٧٩م). (الطبري،١٩٦٧، ٣٤٣/٥)

ولكن سرعان ما استعاد الوليد مركزه في المدينة واستمر فيها مدة سنتين حيث عزل يزيد وعين عثمان بن محمد بن أبي سفيان وهو آخر الولاة الأمويين في العهد السفياني ، وشهد الوالي أحداثاً هامة وخطيرة في الحجاز ابتداء بخروج الحسين بن علي إلى العراق ومأساة كربلاء ثورة المدينة ومعركة الحرة وانتهاء بحركة عبدالله بن الزبير والتي أدت إلى انفصال الحجاز بكامله عن الدولة الأموية منذ عام (٦٤هـ حتى سنة ٧٣هـ/ ٦٨٣- ٦٩٢م) . وشملت سلطته في أوج قوته الحجاز والعراق ومصر وبعض مناطق الشام وعدة مناطق أخرى من العالم الإسلامي ، ولم يجمع الناس على عبد الملك إلا بعد مقتل ابن الزبير (السيوطي،١٩٥٢،ص١٩،٢٧٣) .

أما الأنصار فقد أبعدوا عن المراكز السياسية والإدارية ما عدا أربعة منهم أشار إليهم معاوية بقوله " صحبني أربعة من الأنصار النعمان بن بشير فوليته حمص ومسلمة بن مخلد فوليته مصر ، وعمرو بن سعيد فوليته فلسطين ، وفضالة بن عبيد فوليته القضاء ، ولو زادوني لزدتهم ." (البلاذري،١٩٩٦،ص١٦٠) ويظهر أن الموقف الأموي تجاه الأنصار اقتصر على الذين تحالفوا مع معاوية وكانوا من قبل مع عثمان ، (اليعقوبي،١٩٨٠، ١٨٨/٢) وهؤلاء قطفوا ثمار التأييد الأموي بينما لاقى البقية منهم العقاب . وهذا ما ادى إلى تقليص نفوذ المدينة وتراجع دورها أنصارا ومهاجرين وخاصة أبناء الصحابة الكبار وغيابهم التام ، ولهذا لا نستغرب أن يقف هؤلاء الموقف العدائي من معاوية ودولته ومن بيعة يزيد ، والجهر بالعداء الصريح لهذه الدعوة التي اعتبرها خروجا عن مسيرة الخلفاء الراشدين ، وعن العرف والعادة للحجاز ، وتصدوا لقرار معاوية وحاولوا إسقاطه(ابن قتيبة،د.ت،ص١٩٢،١٧٥) .

أما الطائف فقد خرجت من عزلتها متجهة إلى الحليف القديم ، ونشأت بعد التحكيم ، وإثر تطور الأمور لصالح معاوية بين ثقيف في الطائف والأمويين في الشام ، علاقة قوية ونادرة في طبيعة العلاقات بين أطراف شبه الجزيرة العربية ، (فلهاوزن،١٩٦٨،ص١٠٨) فصارت الطائف مركزا مهما ومميزا للأمويين في الحجاز حيث طغت هذه العلاقة على الروابط بين مكة والأمويين في الشام ، نظرا للوضع الديني لمكة وقبولها بعض المؤثرات المعادية للدولة الأموية ، فضلا عن تفريغها من الأمويين وحزبهم شأن معظم الحجاز ، وهذا ما أبعدها عن الولاء المطلق للخلافة الأموية في الشام وغدت في فترة ما مركزا للثورة والتمرد على الحكم الأموي (الطبري،١٩٦٧، ٥/٤٩٧،٣٧٤) وكذلك تطورت العلاقات الأجتماعية والأقتصادية بين الطائف والأمويين ، وشكل الزواج المتبادل دورا كبيرا في تدعيم هذه العلاقات (العمد،١٩٩٦،ص٥٨-٦٢) كما استمرت الطائف بتقديم الدعم الأقتصادي وخاصة الزراعي منه والذي كان واضحا منذ العصر الجاهلي ، (البلاذري،١٩٩٦، ٥/٢١٤) وإذا كانت الطائف تمكنت بفضل فطنة رجالها ودهائهم كا لمغيرة من عدم التورط في الحروب الأهلية، لكن قلة منهم تحالف مع بني هاشم كسعد بن مسعود الثقفي في العهد الراشدي ، والمختار الثقفي في العصر الأموي ، وأكثرهم انخرط في الصف الأموي كالمغيرة وزياد وغيرهما وساهموا مساهمة فعالة في تدعيم المركز الأموي وتثبيته خاصة في العراق . والنتيجة أن الحجاز فقد أهميته في الإدارة الأموية ، التي اقتصر النفوذ فيها على الأسرة الحاكمة وبعض ممن مثل الاتجاه المتطرف في قريش ،الذي شجعته خلافة الشام ودعمت موقفه المؤيد لها(المسعودي،١٩٧٣، ٣/١٠٤-١٠٧) .

سادسا : بعض الآثار الأقتصادية والأجتماعية لانتقال الخلافة

نتيجة لانتقال مركز الثقل السياسي والاقتصادي والعسكري إلى خارج الحجاز ، وعلى أثر الإهمال الواضح لهذا الإقليم حدث فراغ وخلل في الأوضاع الاجتماعية ، خاصة بين فئات الشباب ، وهم مصدر الحياة والحركة ، ولم يعد هناك ما يشغل فراغهم ، بعد أن انصرف الأمويون عنهم كليا بعد ثورة ابن الزبير . ولهذا فقد نشأ في الحجاز وتحديدا في مكة طبقة من الشباب المترف والعاطل عن العمل كما أشرنا ، فمال في حياته إلى الدعة واللهو والزينة ، **(ضيف،١٩٧٩،ص١٧٥)** والبحث عن مناخ للحياة لإشباع الرغبات البشرية ولهذا ظهر في هذه الفترة في الحجاز (مكة ، والمدينة) مناخان ، أحدهما مال إلى النواحي الدراسية والبحوث الدينية والإسلامية من قرآن وحديث وتفسير وقراءات ، وأدى كل هذا لظهور أول مركز لدراسة علم الحديث ، وشغل هذا التوجه مجموعة كبيرة من الناس منهم في المدينة أنس بن مالك المتوفى سنة (٩١هـ \ ٧٠٧م) . قدم النبي (ص) إلى المدينة وله عشر سنين فخدمه فدعا له بكثرة المال والولد والبركة فيهما . ثم عبدالله بن عمر بن الخطاب المتوفى سنة (٧٤هـ \ ٦٩٣م) وهو أكبر أبناء الخليفة عمر ، وأحد الصحابة المتقدمين في العلوم الإسلامية . أما مدرسة مكة ، فقد رفع من مكانتها عبدالله بن عباس المتوفى سنة (٦٩هـ \ ٦٨٨م أو ٧٨ هـا ٦٩٧م) وهو جد العباسيين ، أعجب الناس به وبعلمه لتبحره في الحديث والفقه ودعي بحبر الأمة لبراعته في تفسير القرآن ، وأخذ عنه عطاء بن أبى رباح ، وطاووس ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، وعبيد الله ابن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، وأبو الشعثا جابر بن زيد ، وابن أبى مليكة، وعكرمة ، وميمون بن مهران ، وعمرو ابن دينار وغيرهم ، واكتسبت المدينتان مكة والمدينة صفة جديدة في العهد الأموي ، وبدأ يفد إلى العاصمة المهجورة (حتي،١٩٥٠،ص٣٠١؛امين،١٩٦٤،ص١٧٠-١٩٠) معظم معتزلي السياسة ، وبعض من ملوا من الحروب الأهلية والخلافات السياسية رغبة منهم في العيش بهدوء وراحة ، كما توافد إليهما الأثرياء الجدد الذين أغنتهم الفتوحات ، وقلدوا الخلفاء بتشييد الأبنية ، وهكذا أقيمت في ضواحي المدينتين مكة والمدينة القصور الفخمة التي ملئت بطوائف من الخدم والرقيق ييسرون لهم سبل الحياة المترفة ، (الأصفهاني،١٩٥٢، ١/١٩٧) فكان ذلك كله إيذانا بظهور المناخ الثاني اللاهى. وكان حظ مكة والمدينة في هذا السبيل، فزاد الترف في هاتين الحاضرتين، وظهر بنوع خاص في المدينة ، فازدادت بيوت القيان وكثر الغناء وساهمت وفود الحجاج في كل سنة بما تنفقه من أموال طائلة في ازدهار المدينتين

وتحولهما من حال إلى آخر . وتعمق الاتجاه الثاني الذي نشأ في الحجاز، وهو الاتجاه نحو الغناء والطرب والشعر والموسيقى ، وأخذت المدينة ومكة تهتمان بهذا النوع من الفنون، وقد عمل الأمويون على تشجيع هذا التوجه. (المسعودي،١٩٧٣، ٣٨٥/٥)، ومن الواضح أن مدن الحجاز (مكة والمدينة) أخذت تعنى بالغناء في العصر الإسلامي منذ عهد الخليفة عثمان ، فقد ظهر طويس ، وفند، وغيرهما (ضيف،١٩٧٩،ص٤٧) وكانت المدينة أسبق مدن الحجاز إلى العناية بالغناء ، ولا شك بأن للغناء علاقة خاصة بالترف ، ولعل في هذا ما يؤكد أن المدينة سبقت إلى العناية بالغناء وهذا أمر طبيعي ، فهي التي سبقت إلى الثراء والغنى نتيجة للعطاء وما درته عمليات الفتوح، وهي العاصمة الأولى للدولة العربية ، ومركز الثقل السياسي والحضاري . ولهذا تمركزت فيها هذه الموجة من موجات الترف، مع أن مكة اخذت تعنى بالغناء فيما بعد وغدت تنافس المدينة فيه، وظهر عندها ابن مسجح وتلاميذه. (الأصفهاني،١٩٥٢، ٢٧٦/٣) لكن المدينة كانت السباقة في الغناء وربما جاء هذا الامتياز بسبب وفود الموالي إليها منذ عصر الخلفاء الراشدين وقيام رجالاتها وأشرافها بطلب هؤلاء الموالي ، وخير مثال على هؤلاء سيد بني هاشم عبد الله بن جعفر ، حيث كان الناس يقصدون بيته لسماع المغنين والمغنيات. (المسعودي،١٩٧٣، ٣٨٥/٥) واستمرت المدينة المركز الأول في الحجاز للغناء والمغنين وتخريجهم، ومما يؤكد ذلك أن خلفاء دمشق كانوا يطلبون مغنيهم غالبا من المدينة وكذلك فإن مكة نفسها تقوم بطلب مغنيها من المدينة ، (ابن عبد ربه،١٩٨٣، ٣٤٢/٣) وأول من اتخذ الغناء وآوى المغنين من بني أمية يزيد بن معاوية فقد طلبهم من المدينة ، وذهب إليه سائب خاثر مولى عبد الله بن جعفر، (الأصفهاني،١٩٥٢، ٣٢٤/٢) ولم يبق أحد في المدينة ينكره وربما كان الأمويون يشجعون شباب مكة والمدينة ليلهوهم عن طلب الملك والخلافة . (ضيف،١٧٢،١٩٧٩)

واندفع الموالي وغير الموالي في المدينة من رجال ونساء يتغنون ، واشتهر من الرجال كثير ، وعقد لهم صاحب الأغاني فصولا طويلة في كتاب ، واهتم بتسجيل أخبار كثير منهم وأصواتهم وعلى رأسهم طويس ، سائب خاثر ، وأما النساء ، فيمكن أن نذكر على رأسهن عزة الميلاء ، وكان لها دار يقصدها بعض أهل المدينة لسماع الغناء ، وتليها جميلة وكان لها الدار الكبرى للغناء في المدينة ، ويورد صاحب الأغاني أنها خرجت تحج ويصف موكب حجها ويدل وصفه دلالة واضحة على مدى ما بلغته المدينة في هذا العصر من ازدهار فن الغناء بها ، وخرجت جميلة في هذا المهجر الكبير الذي كان يضم مجموعة من الشعراء على رأسهم الأحوص ، كما كان في هذا الموكب من القيان زهاء خمسين قينة ، وما أن وصل هذا الركب مكة حتى استقبله مغنوها وعلى رأسهم ابن مسجح وابن سريج والغريض .. الخ . وخرج معهم شعراؤها وعلى رأسهم عمر بن أبي ربيعة (الأصفهاني،١٩٥٢، ١٢٥،١٣٤/٧) وهو يصور مبلغ ما وصلت إليه المدينة في هذا العصر في فن الغناء وكان هؤلاء المغنون والمغنيات يغنون الناس في المدينة بدون ستارة تفصل بينهم ، ولكن عندما يغنون بحفلة فيها رجال ونساء ، كانوا يضعون ستارة كفاصل بين جميع الرجال والنساء ، واستعمال الستارة لم يكن من أجل المغني أو المغنية ، ولكن كان من أجل النساء اللواتي يحضرن الحفلة (الأصفهاني،١٩٥٢، ١٩٧/٧) .

كما أقدم الأمويون على سياسة كسب الشعراء واستخدامهم كوسائل للدعاية والدفاع عن المصالح الأموية ، وأغدقوا عليهم الأموال فظهرت طبقة من الشعراء اهتمت بالنواحي السياسية ودافعت عن الأمويين إما ترغيبا للحصول على العطاء ، وأما حماية لأنفسهم من سخط الأمويين ، وبالمقابل ظهر شعراء كثر مثلوا الاتجاهات ترغيبا للحصول على العطاء ، وإما حماية لأنفسهم من سخط الأمويين ، وبالمقابل ظهر شعراء كثر مثلوا الاتجاهات السياسية المختلفة ودافعوا عن توجهاتها السياسة ومعتقداتها ، وكثيرا ما كانت تحدث المهاترات بين أصحاب هذه الفئات والأحزاب ، وعمل معاوية بطرقه الخاصة لشكمها ومنعها من إيقاض الفتنة وتأجيج العداء فيها بينها ، (العمد،١٩٩٦،ص١٠٢) وأستخدم العديد منهم للإشادة ببني أمية ، وخلافتهم وجعل الناس يميلون إليهم .ويذكر صاحب الأغاني أن معاوية بن أبي سفيان لما قام ببناء دوره التي يقال لها الرقط (الأزرقي،٢٠٠٣، ٢٣٧/١) وهي ما بين الدارين إلى الردم ، أولها الدار البيضاء وآخرها دار

الحمام ، وهي على يسار المصعد من المسجد إلى ردم عمر حمل لها بنائين فرسا من العراق فكانوا يبنونها بالجص واحجر ،وكان سعيد بن مسجح يأتيهم فيسمع من غنائهم على بنيانهم فما استحسن من ألحانهم أخذه ونقله إلى الشعر العربي ، ثم يقوم بصياغته على نحو ذلك ، وهو الذي علم الغريض وكان من قديم غنائه الذي صنعه على تلك الأغاني .وكثيرا ما كان مغنو الحجاز وخاصة من (مكة والمدينة) يقصدون دمشق وقد أحدثوا فيها بفضل زيارتهم وبفضل اهتمام الخلفاء بهم نهضة فنية في الغناء كان من آثارها ظهور أبي كامل الغزيل مغني الوليد بن يزيد ومن آثارها أيضا الوليد بن يزيد نفسة على نحوها ما هو معروف عنه (الأصفهاني،١٩٥٢، ١٢٤/٦، ٣٢،٤٦/٧) .

ويظهر أن معاوية والأمويين اهتموا بمكة أكثر من اهتمامهم بالمدينة ، وهذا ما يظهر في الثراء الواسع الذي ظهر فيها منذ عهد الخليفة عثمان (رضي الله عنه) ، فهذا عبدالله بن عامر وإلى عثمان على البصرة اشترى سوق البصرة من ماله ووهبها لأهلها ، ولم يكونوا يؤدون عنها خراجا ، (ضيف،١٩٧٩،ص١٧٠) كما اتخذ من مكة حياضا ونخلا بعرفات ، وأقام النباج وهي قرية واقعة على الطريق بين مكة والبصرة واتخذ قريتين أخريين وزرع بهما النخل وأنبط عيونا ، (الأزرقي،٢٠٠٣، ٢٢٧/١) ولهذا لا نستغرب أن يقوم هذا ويشترك بتجهيز الحملة العسكرية في "معركة الجمل " لغناه واقتداره على دفع الأموال. وأورد ابن حبيب قصصا كثيرة عن كرم القريشيين ان دلت على شيء فإنما تدل على الغنى والبذخ في هذه الفترة (البغدادي، ١٩٦٤ ،ص١٤٦؛ ضيف،١٩٧٩،ص١٧٠) وما إن تستقر الأمور لمعاوية حتى يهتم ببلدته القديمة ومسقط رأسه فأجرى فيها عشر عيون واتخذ فيها البساتين. (الأزرقي،٢٠٠٣، ٢٣٠/١) واستمر الأمويون بعد ذلك يغرسون بها الأشجار ويحفرون الخزانات والآبار، (مكة في دائرة المعارف الإسلامية) ولعل من أهم المظاهر الحضارية التي تشهد على إهتمام معاوية بمكة اتخاذه القصور وبنائها بالآجر والجص واتخاذ أبوابها من الساج ، وبنى لنفسه الدور والرقط المختلفة الألوان . (ضيف،١٩٧٩،ص١٧١)

وبالغ معاوية في بناء هذه الدور والقصور حتى غدت تنافس دور دمشق وقصورها ويروى أنه اشترى من حويطب بن عبد العزيز دارا بأربعين ألف دينار ، (ابن قتيبة،٢٠٠٧،ص١٥٩) ومعاوية هو أول من كسا الكعبة الديباج واشترى لها العبيد .(اليعقوبي،١٩٨٠، ٢٨٣/٢) وقد اتسعت أعمال البناء في مكة في عهد ابن الزبير وجلبت لها الأموال من مصر والعراق، ومن هذه الأموال تمكن ابن الزبير من إعادة بناء الكعبة، (الدينوري،٢٠٠١،٢٨١) ثم قام بكساء الكعبة بعد أن فرغ من بنائها ومسح بالخلوق داخلها وخارجها فكان أول من خلقها . (اليعقوبي،١٩٨٠، ٣١١/١) ، وهكذا فقد وجدت فئة من المسلمين ممن عرفوا كل ضروب النعيم والترف وتأنقوا فيها كما تفننوا في معرفة أنواع الطعام وألوانه المختلفة ، (الأبشبهي،٢٠٠٦،١/١٦٢) ولبسوا السندس والديباج والأستبرق، ومقطعات الخز والحرير والحلل الموشاة، (الأصفهاني،١٩٥٢،١/٢١١،٢٧٨) حتى إبلهم كانوا يضعون فوقها القطوع والديباج ويضعون في أعناق خيولهم أطواقا من الذهب ، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على مدى الغنى والترف لفئة من المجتمع الإسلامي الذي بدأت فيه الطبقات الاجتماعية تأخذ بالظهور بعد أن كان الإسلام عمل على إزالتها ، وتعمقت الفروق بين فئات المجتمع المختلفة لا سيما في النواحي الاقتصادية وظهرت طبقة من الأغنياء اتسعت قاعدتها خلال المسيرة الإسلامية والتطور الاجتماعي ، وقدمت المبررات القوية لزعماء الحركات السياسية والفكرية المعارضة، للتحرك والعمل ضد الأمويين ونظامهم الذي كثر معارضوه، وكان يحمل في طيات نهوضه ، بوادر سقوطه، ومبررات معارضته . (الأصفهاني،١٩٥٢، ٢٢١/١)

الخاتمة

١- ظهور نتائج خطيرة على كافة المستويات السياسية والإدارية والاجتماعية والاقتصادية عامة. وتطورت الأحداث السياسية والعسكرية .

٢- تطورت الأحداث فدفعت كلا من الحسين بن علي وعبدالله بن الزبير إلى المنافسة الجدية والتطرف في التصدي للأمويين .

٣- وكان لنتائج معركة الحرة الأولية مقتل كثير ولعل من أهم نتائجها جرأة الناس على المدينة وفقدانها تلك الهالة التي كانت تحيط بها وتحميها .

٤- ازدادت نقمة أهل المدينة على معاوية لأنه كان يجلب الخيرات من مكة والمدينة من حنطة وتمر إلى الشام لنفسه .

٥- فقدت الحجاز أهميتها في الإدارة الأموية ، التي اقتصرت النفوذ فيها على الأسرة الحاكمة وبعض ممن مثل الاتجاه المتطرف في قريش ،الذي شجعته خلافة الشام ودعمت موقفه المؤيد لها .

٦- ويظهر أن معاوية والأمويين اهتموا بمكة أكثر من اهتمامهم بالمدينة ، وتعمقت الفروق بين فئات المجتمع المختلفة لا سيما في النواحي الاقتصادية وظهر طبقة من الأغنياء اتسعت قاعدتها خلال المسيرة الإسلامية والتطور الاجتماعي ، وقدمت المبررات القوية لزعماء الحركات السياسية والفكرية المعارضة ، للتحرك والعمل ضد الأمويين ونظامهم الذي كثر معارضوه .

المصادر والمراجع

١. الأبشيهي ، شهاب الدين محمد بن احمد ، المستطرف في كل فن مستظرف ، تحقيق : محمد مهنا ، المكتبة العصرية (بيروت-٢٠٠٦) .
٢. ابن أبي الحديد ، عز الدين عبدالحميد بن هبة الله، شرح نهج البلاغة ، دار احياء الكتب العربية (بيروت-١٩٦٥) .
٣.ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن علي بن محمد ، الكامل في التاريخ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – ٢٠٠٨) .
٤.الأخطل ، ديوان الأخطل ، تحقيق: محمد نعيم بربر ، المكتبة العصرية (بيروت- ٢٠٠١) .
٥.الأزرقي ، أبي الوليد محمد بن عبدالله ، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، دراسة وتحقيق: عبد الملك بن عبدالله (د.م- ٢٠٠٣) .
٦.الأصفهاني ، أبو فرج علي بن الحسين ، الأغاني ، الهيئة المصرية العامة (القاهرة-١٩٥٢) .
٧.الأصفهاني ، مقاتل الطالبيين ،دار احياء الكتب (القاهرة-١٩٤٩) .
٨.ابن أعثم ، أبو محمد أحمد ، الفتوح ، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر (بيروت – ١٩٩٢م) .
٩.امين ، أحمد ، فجر الإسلام ، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة-١٩٦٤) .
١٠.الأبياري ، إبراهيم ، معاوية بن أبي سفيان ، سلسلة أعلام العرب (القاهرة – د.ت) .
١١.بيضون ، إبراهيم ، الحجاز والدولة الإسلامية ، دراسة في أشكالية العلاقات مع السلطة المركزية القرن الأول الهجري (بيروت- ١٩٧٣م) .
١٢.بيضون ، ابراهيم ، تكون الاتجاهات السياسية في الإسلام الإول (بيروت- ١٩٨٦م) .
١٣.البغدادي ، ابن حبيب ، المحبر، (حيدر آباد – ١٩٦٤م)، أعيد طبعه من قبل عالم الكتاب (بيروت – ١٩٨٥م) .
١٤.البلاذري ، أحمد بن يحيى بن جابر، فتوح البلدان ، (القاهرة –١٩٨٧م) .
١٥.البلاذري ، أنساب الأشراف ، تحقيق : سهيل زكار ورياض زركلي ، دار الفكر (بيروت- ١٩٩٦) .
١٦.التميمي، أبو العرب محمد بن أحمد ، كتاب المحن ، تحقيق : يحيى وهيب الجبوري ، دار العرب الاسلامي (تونس – ٢٠٠٤) .
١٧.الثقفي ، أبي اسحق إبراهيم ابن محمد ، الغارات ، تحقيق عبد الرزاق الحسني الخطيب (بيروت – ١٩٨٧م) .
١٨.حتي، فيليب، تاريخ العرب مطول ، (د.م-١٩٥٠)
١٩.حسين ،طه ، في الأدب الجاهلي ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة (القاهرة-٢٠١٢) .
٢٠.ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد ، المقدمه ، مكتبة المثنى (بغداد – د.ت) .
٢١.خليفة بن خياط ، أبي عمر خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق: سهيل زكار (دمشق –١٩٦٨م) .
٢٢.الدوري ، عبد العزيز ، مقدمة ، ط٣ (بيروت – ١٩٨٤م) .
٢٣.الدينوري ،أحمد بن داؤود ، الأخبار الطوال ، تحقيق: عصام محمد الحاج علي ، دار الكتب العلمية (بيروت-٢٠٠١)

٢٤.الذهبي ، شمس الدين محمد بن احمد، سير أعلام النبلاء، دار الحديث (القاهرة-٢٠٠٦) .

٢٥.زكار ، سهيل ، تاريخ العرب والأسلام (دمشق - ١٩٨٢) .

٢٦.السالم ،عبد العزيز ، التاريخ السياسي والحضاري للدولة العربية (بيروت-د.ت) .

٢٧.سرور، محمد جمال الدين ، قيام الدولة العربية الإسلامية في حياة محمد (ص) ، ط ٥ (القاهرة - ١٩٦٦م)

٢٨.أبن سعد، محمد بن سعد بن منبع ، الطبقات الكبرى ، (بيروت - ١٩٥٨م) .

٢٩.السمهودي ، نورالدين علي ابن السيد عبدالله ، وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ، مطبعة الآداب والمؤيد (مصر-١٣٢٦هـ) .

٣٠.السيد ، رضوان ، جدليات العلاقة بين الجماعة والوحدة والشريعة في الفكر السياسي العربي الإسلامي ، مجلة الوحدة ،ط٢(د.م- ١٩٨٠م) .

٣١.السيوطي ، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر ، تاريخ الخلفاء ، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد ، مطبعة السعادة (مصر-١٩٥٢) .

٣٢.الشايب ، أحمد ، تاريخ الشعر السياسي إلى منتصف القرن الثاني ، (القاهرة - ١٩٧٦) .

٣٣. ضيف ، شوقي ، الشعر والغناء في المدينة ومكة لعصر بني أمية ، ط ٤ (القاهرة- ١٩٧٩م) .

٣٤. ابن طباطبا ، محمد بن علي ، الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية،دار القلم(بيروت-١٩٧٣).

٣٥. الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير ، تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار المعارف ، (مصر-١٩٦٧) .

٣٦. عاقل ، نبيه ، خلافة بني أمية ، (بيروت- ١٩٩٩) .

٣٧. ابن عبد ربه ، أحمد بن محمد ،العقد الفريد ،تحقيق : مفيد محمد فميمة ، دار الكتب العلمية (بيروت-١٩٨٣) .

٣٨. العدوي ، إبراهيم أحمد ، الأمويون والبيزنطيون (القاهرة -١٩٥٣م) .

٣٩. ابن عساكر، تقية الدين أبو القاسم علي بن الحسن ، تهذيب تاريخ دمشق ، (بيروت-١٩٧٩م) .

٤٠. العقبلي، عمر سليمان، يزيد بن معاوية(حياته وعصره) (الرياض-١٩٨٨) .

٤١. العلي ، صالح أحمد ، "ملكيات الأراضي في الحجاز" مجلة العرب، (الرياض- ١٩٦٩م) .

٤٢. العمد ، إحسان صدقي ، الجذور التاريخية للأسرة الأموية ، الحولية السابعة عشرة الرسالة الثالثة عشر بعد المئة (الكويت -١٩٩٦م) .

٤٣. بن عمر ، سيف ، الفتنة ووقعة الجمل ، (بيروت - ١٩٧٢م) .

٤٤. أبو الفداء ، عماد الدين اسماعيل ، المختصرفي أخبار البشر ، مكتبة المتنبي (القاهرة- د.ت) .

٤٥. فلهاوزن ، يوليوس ، تاريخ الدولة العربية منذ ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية ، نقله عن الألمانية : محمد عبدالهادي ابو ريدة (القاهرة- ١٩٦٨) .

٤٦. ابن قتيبة ، أبو محمد بن عبدالله بن مسلم ، الإمامة والسياسة (القاهرة - د.ت) .

٤٧. ابن قتيبة، المعارف، حققه وقدم له: ثروت عكاشة، دار المعارف، ط٤ (د.م- ٢٠٠٧) .

٤٨. الكتاني ،عبد الحي ، نظام الحكومة النبوية والتراتيب الإدارية ، تحقيق: عبدالله الخالدي ، دار الأرقم ،(بيروت- د.ت)

٤٩. كحالة ، عمر رضا : معجم قبائل العرب ، (بيروت - ١٩٨٢م) .

٥٠. المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد ، الكامل في اللغة والأدب، تعليق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي (القاهرة-١٩٩٧) .

٥١. المسعودي ، ابو الحسين بن علي ، التنبيه والإشراف ، مكتبة المثنى (بغداد - ٢٠١٦)

٥٢. المسعودي ، مروج الذهب (بيروت- ١٩٧٣م) .

٥٣. المقريزي ، احمد بن عبدالله ، النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم (القاهرة -١٩٣٧م) .

٥٤. مؤنس ، حسين ، تاريخ المسلمين في البحر المتوسط ، (القاهرة -٩٩١م) .

٥٥. النويري،شهاب الدين احمد بن عبدالوهاب، نهاية الأرب في فنون الأدب ، (القاهرة- د.ت) .

٥٦. أبن هشام ، عبدالملك بن هشام الحميري ، السيرة النبوية ، (القاهرة - ١٩٣٦م) .

٥٧. ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبو عبدالله ، معجم البلدان ، دار صادر للطباعة (بيروت-٢٠٠٧) .

٥٨. اليعقوبي ، أحمد بن اسحاق ، تاريخ ، (بيروت - ١٩٨٠م) .

٥٩. مكة في دائرة المعارف الأسلامية .